مجلة
بينات
فصلية
تصدر عن
رابطة علماء المسلمين
رابطة علماء المسلمين
العدد (١) ::: جمادى الأولى ١٤٤٠هـ ::: فبراير ٢٠١٩م

تركستان الشرقية
الجرح الدامي للأمة الإسلامية

- خصوم الأمة وأعداؤها..
- الطريق القويم إلى ظهور الدين..
- فيض الربيع.. وغيض الشتاء..

بسم الله الرحمن الرحيم

ترحيب بين يدي المجلة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد..

فإن معلم الناس الخير، يصلي الله عليه وملائكته، حتى الحوت في جوف الماء؛ لسعيه في مصلحة الخلق، وإصلاح أديانهم، وتقريبهم من رحمة الله، فجوزي من جنس عمله، بخلاف الكاتم لما أنزل الله، المضاد لأمر الله، المشاق لله، فذلك يبين الله الآيات للناس ويوضحها، وهذا يطمسها فعليه هذا الوعيد الشديد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [سورة البقرة].

وإننا إذ نرحب بكم في العدد الأول من مجلة (بينات)، الصادرة عن (رابطة علماء المسلمين)، نهيب بالعلماء والدعاة أن يدلوا بدلوهم وأن يساهموا بمقترحاتهم – عبر بريد المجلة - لتجويد محتوى المجلة من مقالات وبحوث ودراسات، في المجالات الشرعية والدعوية والفكرية، وسائر ما من شأنه أن يحقق أهداف المجلة ويخدم أغراضها.

والله ولي التوفيق،،،

bayyinatre@gmail.com

هيئة التحرير

المشرف العام
الشيخ الدكتور محمد العبده

المستشارون
د. حسن عباس
أ.د. حكمت الحريري
د. عادل الحمد
د. مراد القدسي
أ.د. محمد أمحزون
د. هشام برغش

سكرتير التحرير
م. محمد حسين

تصدر عن
رابطة علماء المسلمين

بينات

رؤية المجلة:

تشكيل وعي المسلم في القضايا المعاصرة.

رسالة المجلة:

مجلة تحقق تأصيل العلوم الشرعية في المجالات كافة، وإعطاء الرؤية الشرعية حول أوضاع المسلمين.

عن المجلة:

– هي مجلة دورية ربعية تصدر عن (رابطة علماء المسلمين)، وتهتم بالقضايا الشرعية والفكرية والعلوم الإنسانية، ورصد وتحليل واستشراف مستقبل المسلمين حول العالم.

– مجلة عالمية تنتهج منهج أهل السنة والجماعة بعيداً عن الغلو والتفريط.

– تخاطب الدعاة والعلماء والمثقفين والمفكرين المهتمين بنهضة الأمة وريادتها، وتحث الهمم وتحرك القلوب وتبعث الطاقات لمصلحة الأمة، وتحرص على بناء الأمة على العقيدة السليمة والمنهج القويم ليفقه واقعه ويبني مواقفه على تأصيل شرعي قويم.

بينات

في هـــذا العـــدد

موضوعات العدد

الافتتاحية

■ واجب العلماء
المشـــــرف العـــــام ٤

ملفات شرعية

■ الطريق القويم إلى ظهور الدين
د. محمد عبد الكريم الشيخ ٦

■ عُبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإنكاره على حكم عصره
د. عبد الله بن فيصل الأهدل ١٤

■ لمحات وتبصُّرات وعقبات في طريق العلماء والدعاة
د. حكمت أحمد الحريري ١٨

مكانة العلماء

■ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟
د. عادل حسن الحمد ٢٤

داعية فقدناه .. الشيخ الداعية: محمد بن أحمد (زحل)
د. محمـد ألـواح ٢٦

قضايا فكرية

■ نظرة في حقوق الإنسان (١)
م. محمد حسين محمد ٣٠

■ فيض الربيع وغيض الشتاء
د. حسن بن مسعود بن خليفة ٣٦

■ خصوم الأمة وأعداؤها
د. محمد يسري إبراهيم ٤٢

■ جدلية الديني والسياسي بعد الربيع العربي
د. أنور الخضري ٤٧

المسلمون حول العالم

■ تركستان الشرقية الجرح الدامي للأمة الإسلامية
د. عبد الخالق عبد الوارث خوتن ٥٢

رابطة علماء المسلمين

الرؤية:

تكوين مرجعية عالمية راشدة لإحياء دور العلماء في نهضة الأمة المسلمة.

الرسالة:

تجمع علمي منظم من علماء المسلمين يساهم في توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم؛ من خلال جمع طاقات العلماء، وتقديم حلول شرعية للقضايا المعاصرة وفق منهج أهل السنة والجماعة.

الأهداف:

(١) المساهمة في توحيد كلمة علماء الأمة وإبراز مكانتهم بين المسلمين.

(٢) استنباط الأحكام الشرعية للحوادث والنوازل وللقضايا المعاصرة، ورد الشبهات حول الإسلام ونبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفق منهج علمي وبيان ذلك للمسلمين.

(٣) كشف المخططات المعادية للإسلام والتصدي لها بشتى الوسائل المشروعة.

(٤) تحذير الأمة وحمايتها من المناهج والعقائد المنحرفة والتيارات الهدامة وبيان موقف الإسلام منها.

(٥) التواصل مع الهيئات الرسمية والمؤسسات العلمية والدعوية والإعلامية والخيرية فيما يحقق نهضة الأمة.

alimerdernegi@gmail.com

واجب العلماء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبتوفيقه يتيسر العمل الطيب، وبإعانته يتحقق للمسلم ما يرغب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. وبعد..

فقد أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يكون هذا الدين هو خاتمة الرسالات، وأنه باق على امتداد الدهر، وأن عبء تأييد هذا الدين ونصرته بعد وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو للعلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وهم الذين يذودون عنه ما يطرقه من التعاليم الغريبة، وذلك حتى تبقى محجته بيضاء نقية لائحةً للناظرين، وإذا فُقِدت القيادة السياسية فلا تفقد القيادة العلمية، وإن البشر لا بد لهم من قيادة تنير لهم الطريق، وتجنبهم المزالق وليس هناك بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شخص معصوم، ولكن هناك جماعة العلماء الذين يقومون بما كُلف به الأنبياء من الإصلاح والدعوة، وكلما كثُر العلماء العاملون كلما قربت حالة الأمة إلى الاستقامة.

إننا نعيش في هذه الأيام ظروفاً صعبة، حيث بدأ التفلت من الثوابت في الدين، ونُبِز الإسلام بالإرهاب وحورب الاتجاه السلفي الأصيل، بل يمكن أن نقول أنه لم تكن الأمة الإسلامية مهددة في كيانها وممزقة شر ممزق كما هي اليوم، فقد استولت الرافضة على العراق وتحاول في الشام واليمن، وتغلغلوا في إفريقيا وآسيا.

وفي هذه الأيام ثارت الشبهات التي تلقى على أسماع الشباب والشابات، وتكلم الأصاغر، وساعدهم على ذلك التكنولوجيا الحديثة، وأصبحت الكتابة سهلة على كل من هبّ ودبّ وعلى كل جاهل وحاقد، ونسمع كثيراً عن فشو الإلحاد بين صفوف الشباب، هذا عدا عن انحراف أهل الغلو والتشدد وأهل التقصير والتساهل، فمن الذي يتصدى لهذه الأمور العظام، ويأتي (بالبينات) لتوضيح فهم أهل السنة الذي هو الميزان لأنه هو المتحرر من التعصب لشخص أو لحزب أو لمذهب فقهي، وهذا

هو الذي يمنع من التذبذب أو الدوران في حلقات مفرغة، فالعقيدة السليمة تضبط الاتجاه وتضبط (البوصلة) بعد معرفة الواقع بتفاصيله ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾[1].

إن ما نعانيه اليوم يختلف في بعض جوانبه عن مشاكل من سبقنا، وهذا يحتاج إلى الاجتهاد والتجديد في الخطاب السلفي، ومجلتنا (بينات) لعلها تكون اسماً على مسمى، والبينات هي من مهام الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[3]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾[4]، وقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[5].

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((ما من نبي بعثه الله في أمةٍ قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره)).

(١) سورة الأنعام.
(٢) سورة الحديد: ٢٥.
(٣) سورة يونس: ١٣.
(٤) سورة البقرة.
(٥) سورة النحل.

(بينات) هي للتعمق في فقه الكتاب والسنة، والتعمق في فقه أحوال الأمم وتقدمها وأسباب تأخرها، ومن فقه الكتاب والسنة تقديم الأمور الضرورية وإعطاؤها الأولوية وخاصة في حياتنا العملية، فمن الخطأ والضرر تقديم الأمر التحسيني على الضروري، ومن الخطأ العيش مع الماضي فقط دون ربطه بالحاضر والمستقبل.

نأمل أن تكون (بينات) هي الفجر الصادق التي تحتوي على الأدلة السمعية والعقلية ما تُبين به ضعف وخلط ولاعقلانية هذه الحملات التي تشكك في منهج أهل السنة بل في الإسلام.

إنّ هذا الاتجاه السلفي ليس طارئاً ولا غريباً، هو منهج أهل السنة الذين يتبعون خيرية القرون الثلاثة التي مدحها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو منهجٌ له جذورٌ ممتدةٌ في العصر الحديث من ثلاثة قرون، وله رجاله وعلماؤه المعروفون في العالم العربي والإسلامي، والذين لهم صولاتٌ وجولاتٌ في مشروع نهضة الأمة، فلا ينبغي لهذا الاتجاه السكوت عندما تثور المشكلات ويتطلع الناس ويتشوّفون إلى رأي العلماء والدعاة الصادقين، خاصة في خضم هذا التدفق الإعلامي الذي يشوش الأفكار والاتجاهات.

إننا في عصرٍ يجب أن يعود لهذا الاتجاه مفهوم القيادة وليس مفهوم التبعية، وإننا في عصرٍ لا ينفع فيه إلا التكتل الكبير الذي يجابه مشروعات الأعداء، هذا التكتل هو الذي يعطي الأمل للفرد المسلم بإذن الله.

المشرف العام

الطريق القويم إلى ظهور الدين

د. محمد عبد الكريم الشيخ
الأمين العام رابطة علماء المسلمين

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والصلاة والسلام على نبينا محمد إمام التقى وخير الورى.

أما بعد..

فإن الله تعالى لما أنزل كتابه وأرسل رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد عَزَّوَجَلَّ إظهار دينه وإعلاء كلمته، وهذا من أعزِّ مقاصد المؤمنين وأشهى مطالبهم وغاية نفوسهم من رؤية دينهم ظاهراً، وكتاب ربهم مهيمناً، وعلوِّ راية التوحيد، والفرح بنصر الله. لما يعقب ذلك من حلول الخيرات وتنزل البركات قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "ظهور الدين مستلزم لدوام الخير"[1].

وهذا متحقق وكائن لا محالة، وقد أكد الله ذلك في كتابه بآية تكررت في القرآن الكريم بذات الألفاظ في مواضع ثلاثة وهي قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾.

في سور: التوبة (آية ٣٣)، والصف (آية ٩)، والفتح (آية ٢٨)، غير أن خاتمة الآية في الأوليين: ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ وأما خاتمة الثالثة فبقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾.

إننا في وقت أحوج ما نكون فيه إلى تلمس الطريق الصحيحة لإظهار الدين على الوجه الذي يرضى الله عَزَّوَجَلَّ به عنا، وبالأخص بعد أن تنكبت كثير من محاولات الإصلاح السبل فتفرق بها عن سبيله، وما من ريب لدى المسلم الموقن بوعد ربه أن المنهج الصواب المفضي إلى نصرة الدين وظهوره؛ إنما هو الوحي الرباني الذي لا ضلال البتة مع الاعتصام به والرجوع إليه؛ والنصوص الواردة في هذا المعنى وإن كانت كثيرة ومتنوعة، إلا أن أولاها

(١) فتح الباري: ٤/١٩٩.

بالنظر ما في هذه الآية التي تكررت ثلاث مرات، في سور لها ارتباط وثيق بحقيقة انتصار الإسلام وظهوره، فسورة التوبة هي آخر سور القرآن التي نزلت فرقاناً بين المسلمين وأعدائهم، من المشركين وأهل الكتاب وأذنابهم من المنافقين، ثم جاءت الآية بنصها في سورة الصف التي قررت المنهج الإلهي للبشرية في صورته الأخيرة ليظهر بكل جدارة على كل دين وملة، وكرة ثالثة في سورة ترسم لنا الطريق إلى الفتح الذي يتمناه كل مسلم.

هذا وقد اشتملت الآية على مرتكزات ثلاثة:

أولها: أن الله الذي أذن بإرسال رسوله بالهدى ودين الحق، هو وحده كذلك المتكفل بإظهاره على الدين كله، ففي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ "صِيغَةُ قَصْرٍ، أَيْ هُوَ لَا غَيْرُهُ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِهَذَا النُّورِ، فَكَيْفَ يَتْرُكُ مُعَانِدِيهِ يُطْفِئُونَهُ ولهذا قال في ختام الآية في سورة الفتح: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ وهذا توكيد لوعد الله الأول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1]"[2]. وقد بين الله ذلك أكثر بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[3].

الثاني: بيان المنهج الذي يكون به ظهور الدين، وهو المشار إليه بقوله تَعَالَى: ﴿بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ فَـ(الْهُدَى) "هُوَ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْإِخْبَارَاتِ الصَّادِقَةِ وَالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ وَالْعِلْمِ النافع و(دين الحق) هو الأعمال الصَّحِيحَةُ النَّافِعَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"[4].

قال ابن الجوزي:"وفيه – أي الهدى – ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التوحيد. والثاني: القرآن. والثالث: تبيان الفرائض. فأما دين الحق، فهو الإسلام"[5].

> **إننا في وقت أحوج ما نكون فيه إلى تلمس الطريق الصحيحة لإظهار الدين على الوجه الذي يرضى الله عَزَّوَجَلَّ به عنا، وبالأخص بعد أن تنكبت كثير من محاولات الإصلاح السبل فتفرق بها عن سبيله.**

إذن فهما أمران جوهريان؛ وأساسان مهمان؛ يكون بهما ظهور الدين الحق على سائر الأديان:

أحدهما: العلم النافع الذي يهدي إلى الله وإلى دار كرامته، ويهدي لأحسن الأعمال والأخلاق، ويهدي إلى مصالح الدنيا والآخرة. وأس هذا العلم الوحي الإلهي

(١) سورة التوبة.
(٢) انظر: التحرير والتنوير: ١١/١٧٣؛ بتصرف يسير.
(٣) سورة آل عمران.
(٤) تفسير ابن كثير: ٢/١٣٨.
(٥) زاد المسير في علم التفسير: ٢/٢٥٣.

الهادي، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾[1]، إذن فكل هداية تحققت لرسولنا الكريم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إنما كان مرده إلى علم الكتاب والسنة اللذين كلاهما وحي ونور وهدىً ورحمة. لحديث عبد الله بن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ((تركتُ فيكم أيُّها الناس، ما إنِ اعتصمتم به، فلن تضلُّوا أبداً: كتاب الله، وسُنَّة نبيِّه))[2].

منهج الظهور للإسلام على سائر الأديان؛ هو في ترجمة ذلك (العلم النافع) إلى (دين الحق) الدين الذي يدان به، ويتعبد لرب العالمين الذي هو حق وصدق، لا نقص فيه، ولا خلل يعتريه، بل أوامره غذاء القلوب والأرواح، وراحة الأبدان، وترك نواهيه سلامة من الشر والفساد.

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((إنَّ مَثَلَ ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غَيْثٍ أصاب أرضاً، فكانت منها طَائِفَةٌ طيِّبَةٌ قَبِلَت الماءَ؛ فأنْبَتت الكلأ والعُشْبَ الكثير، وكان منها أجادِبُ أمْسَكت الماءَ، فنفع الله بها النَّاسَ، فشربوا منها، وسَقَوْا ورَعَوا، وأصابَ طَائِفَةً منها أخْرى إنَّما هي قِيعَانٌ لا تُمسِكُ ماءً، ولا تُنْبِتُ كلأً، فذلك مَثَلُ مَنْ فَقُه في دين اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ونَفَعَهُ ما بعثني الله به، فعلِمَ وعلَّم، ومَثَلُ من لم يَرْفع بذلك رَأساً، ولمْ يقبل هُدى اللهِ الذي أُرْسِلْتُ به))[3].

ألا ما أحوجنا إلى بث هذا العلم ونشره، حتى يتربى ويتزكى به العامة والخاصة، وتلك هي الخطوة الأولى في سبيل التمكين للدين، وإلا فإن دون ذلك خرط القتاد. قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[4].

أما الثاني: في منهج الظهور للإسلام على سائر الأديان؛ فهو في ترجمة ذلك (العلم النافع) إلى (دين الحق) الدين الذي يدان به، ويتعبد لرب العالمين الذي هو حق وصدق، لا نقص فيه، ولا خلل يعتريه، بل أوامره غذاء القلوب والأرواح، وراحة الأبدان، وترك نواهيه سلامة من الشر والفساد، وهذا هو (العمل الصالح) الذي يدخل فيه كل ما أمر الله به؛ من الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ حدود الله، وغيرها من سائر العبادات والأخلاق والشعائر والشرائع، ولا يتأتى ذلك العمل

(١) سورة سبأ.
(٢) أخرجه الحاكم والمروزيُّ والبيهقي وصحَّح إسنادَه ابنُ القيِّم في (تهذيب السنن) ٧/ ٢٧٩، وصحَّحه ابن العربي في (أحكام القرآن) ٤/ ٢٥٠، والألبانيُّ في (صحيح الترغيب) ٤٠.
(٣) أخرجه البخاري: ١/ ١٨٥، ومسلم: ٢٢٨٢.
(٤) الجمعة.

ليكون صالحاً إلا بتخليصه من الشرك والبدع؛ كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[1].

وبهذين يتحقق كمال الإنسان كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فَلَمَّا كَانَ كَمَالُ الْإِنْسَانِ إِنَّمَا هُوَ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَهُمَا (الْهُدَى وَدِينُ الْحَقِّ)، وَبِتَكْمِيلِهِ لِغَيْرِهِ فِي هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[2]، أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ خَاسِرٌ إِلَّا مَنْ كَمَّلَ قُوَّتَهُ الْعِلْمِيَّةَ بِالْإِيمَانِ، وَقُوَّتَهُ الْعَمَلِيَّةَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَكَمَّلَ غَيْرَهُ بِالتَّوْصِيَةِ بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ، فَالْحَقُّ هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ، وَلَا يَتِمَّانِ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَيْهِمَا، وَالتَّوَاصِي بِهِمَا كَانَ حَقِيقاً بِالْإِنْسَانِ أَنْ يُنْفِقَ سَاعَاتِ عُمْرِهِ بَلْ أَنْفَاسَهُ فِيمَا يَنَالُ بِهِ الْمَطَالِبَ الْعَالِيَةَ، وَيَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْخُسْرَانِ الْمُبِينِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِقْبَالِ عَلَى الْقُرْآنِ وَتَفَهُّمِهِ وَتَدَبُّرِهِ وَاسْتِخْرَاجِ كُنُوزِهِ وَإِثَارَةِ دَفَائِنِهِ، وَصَرْفِ الْعِنَايَةِ إِلَيْهِ، وَالْعُكُوفِ بِالْهِمَّةِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ الْكَفِيلُ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَالْمُوَصِّلُ لَهُمْ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ، فَالْحَقِيقَةُ وَالطَّرِيقَةُ، وَالْأَذْوَاقُ وَالْمَوَاجِيدُ الصَّحِيحَةُ، كُلُّهَا لَا تُقْتَبَسُ إِلَّا مِنْ مِشْكَاتِهِ، وَلَا تُسْتَثْمَرُ إِلَّا مِنْ شَجَرَاتِهِ"[3].

"هذا، ولَمْ يَكُنْ فِي الْأُمَّةِ أَعْظَمُ اجْتِمَاعاً عَلَى (الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ) من خِيَار هَذِهِ الْأُمَّةِ وهُمُ الصَّحَابَةُ، وَلَا أَبْعَد عَنِ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ مِنْهُمْ. وَكُلُّ مَا يُذْكَرُ عَنْهُمْ مِمَّا فِيهِ نَقْصٌ فَهَذَا إِذَا قِيسَ إِلَى مَا يُوجَدُ فِي غَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَّةِ كَانَ قَلِيلاً مِنْ كَثِيرٍ. وَإِذَا قِيسَ مَا يُوجَدُ فِي الْأُمَّةِ إِلَى مَا يُوجَدُ فِي سَائِرِ الْأُمَمِ كَانَ قَلِيلاً مِنْ كَثِيرٍ. وَإِنَّمَا يَغْلَطُ مَنْ يَغْلَطُ أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى السَّوَادِ الْقَلِيلِ فِي الثَّوْبِ الْأَبْيَضِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى الثَّوْبِ الْأَسْوَدِ الَّذِي فِيهِ بَيَاضٌ. وَهَذَا مِنَ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ، بَلْ يُوزَنُ هَؤُلَاءِ بِنُظَرَائِهِمْ، فَيَظْهَرُ الْفَضْلُ وَالرُّجْحَانُ"[4].

ولقد عاش الناس في ذلك (الهدى ودين الحق)، ثم ظهرت البدع والفجور، فصار من الأمة من استمسك بالهدى ودين الحق، ومنهم من عدل عن بعض ذلك، فاستمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم وخاضوا كالذي خاضوا.

ثالثاً: دلت الآية على ظهور دين الإسلام عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ، ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، اللام: للتعليل، ويظهر: منصوب بأن مضمرة، والهاء: مفعول به يعود على الرسول، "أي: ليعليه على سائر الأديان، بالحجة والبرهان، ويظهر أهله القائمين به بالسيف والسنان، فأما نفس الدين، فهذا الوصف ملازم له في كل وقت، فلا يمكن أن يغالبه مغالب، أو يخاصمه مخاصم إلا فلجه وبلسه، وصار له الظهور والقهر، وأما المنتسبون إليه، فإنهم إذا قاموا به،

(١) سورة الكهف.
(٢) سورة العصر: ١-٣.
(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ١/ ٣٠.
(٤) مدارج السالكين: ٦/ ٣٦٧.

واستناروا بنوره، واهتدوا بهديه، في مصالح دينهم ودنياهم، فكذلك لا يقوم لهم أحد، ولا بد أن يظهروا على أهل الأديان، وإذا ضيعوه واكتفوا منه بمجرد الانتساب إليه، لم ينفعهم ذلك، وصار إهمالهم له سبب تسليط الأعداء عليهم، ويعرف هذا، من استقرأ الأحوال ونظر في أول المسلمين وآخرهم"[١].

"وَفِعْلُ الْإِظْهَارِ إِذَا عُدِّيَ بِـ ﴿عَلَى﴾ كَانَ مُضَمَّناً مَعْنَى النَّصْرِ، أَوِ التَّفْضِيلِ، أَيْ لِيَنْصُرَهُ عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا، أَيْ لِيَكُونَ أَشْرَفَ الْأَدْيَانِ وَأَغْلَبَهَا، وَمِنْهُ الْمُظَاهَرَةُ أَيِ الْمُنَاصَرَةُ،.. وَلَا يَلْزَمُ مِنْ إِظْهَارِهِ عَلَى الْأَدْيَانِ أَنْ تَنْقَرِضَ تِلْكَ الْأَدْيَانُ"[٢].

قال ابن الجوزي: "وفي قوله تعالى: لِيُظْهِرَهُ قولان: أحدهما: أن الهاء عائدة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالمعنى: ليعلّمه شرائع الدِّين كلَّها، فلا يخفى عليه منها شيء، قاله ابن عباس. والثاني: أنها راجعة إلى الدين. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ليظهر هذا الدين على سائر الملل. ومتى يكون ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: عند نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإنه يتبعه أهل كل دين، وتصير الملل واحدة، فلا يبقى أهل دين إلا دخلوا في الإسلام أو أدَّوا الجزية، قاله أبو هريرة، والضحاك. والثاني: أنه عند خروج المهدي. قاله السدي.

والقول الثاني: أن إظهار الدِّين إنما هو بالحجج الواضحة، وإن لم يدخل الناس فيه"[٣]. "قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: مَعْنَى الْآيَةِ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَةِ. وَقِيلَ: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الْأَدْيَانِ الَّتِي حَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَغْلِبَهُمْ. قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا بِأَنْ أَبَانَ لِكُلِّ مَنْ سَمِعَهُ أَنَّهُ الْحَقُّ، وَمَا خَالَفَهُ مِنَ الْأَدْيَانِ بَاطِلٌ، وَقَالَ: وَأَظْهَرُهُ على الشرك دين أهل الكتاب ودين الأميين، فَقَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأميين حين دَانُوا بِالْإِسْلَامِ طَوْعاً وَكَرْهاً، وَقَتَلَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَسَبَى، حَتَّى دَانَ بَعْضُهُمْ بِالْإِسْلَامِ وَأَعْطَى بَعْضُهُمُ الْجِزْيَةَ صَاغِرِينَ وَجَرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُهُ، فَهَذَا ظُهُورُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَاللَّهُ أعلم"[٤].

كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لي منها)). وعن تميم الدارمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ هذا الدين يعز عزيزاً ويذل ذليلاً، عِزّاً يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلّاً يُذِلُّ الله به الكفر))، فكان تميم الدارمي يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ والشرف والعز، ولقد أصاب من كان كافراً منهم الذل والصغار والجزية[٥].

(١) تفسير السعدي: ١/ ٨٥٩.
(٢) التحرير والتنوير: ١١/ ١٧٣.
(٣) زاد المسير في علم التفسير: ٢/ ٢٥٣.
(٤) تفسير البغوي: ٢/ ٣٤٠.
(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند، تفسير ابن كثير: ٢/ ١٣٨.

وتلك بشرى المسلمين بأنهم سيسودون العالم في يوم من الأيام، ويصبح الإسلام هو الدين الذي يعبد الله به في الأرض لا غيره، ويشهد لهذا قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[1]، فلو لم يعلم الله أن ذلك كائن لم يجعله غاية وطالب بالوصول إليها.

إن حالنا المؤلم ليس نهاية المطاف. إن وعد الله قائم، ينتظر العصبة المسلمة، التي تحمل الراية وتمضي، مبتدئة من نقطة البدء، التي بدأت منها خطوات رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو يحمل دين الحق ويتحرك بنور الله.

"إن رسالة محمد صلّى الله عليه وآله وسلم تمتاز بكثرة الدّلائل والمعجزات على صحّتها، وهو الهدى، وأنها دين الحقّ المشتمل على الصّواب والصّلاح ومطابقة الحكمة وموافقة المنفعة في الدّنيا والآخرة، وأن دينه يعلو على كلّ الأديان، ويغلب كلّ الأديان، فلا دين يصمد أمام النّقاش العلمي والعقلي غير دين الإسلام. والتّاريخ على ممرّ الزّمان يؤكّد إنجاز هذه الوعود علانية في اقتناع كبار العلماء في كلّ اختصاص إنساني أو علمي بأحقيّته في التّديّن والاعتقاد وإصلاح الحياة البشرية، وظهر الإسلام على كلّ الأديان في الماضي، فاندحر اليهود وأخرجوا من جزيرة العرب، وغلب المسلمون النّصارى في بلاد الشّام وغيرها، وغلبوا المجوس، وعبّاد الأصنام في كثير من بلاد التّرك والهند"[2].

نعم لقد تحقَّقَ هذا الوعدُ على يد رسول الله وخلفائه ومن جاء بعدهم، ونشروا نور الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها. حتى دام هذا النور فترةً طويلة من الزمن، وكان دين الحق أظهر وأغلب وكانت الأديان التي لا تخلص فيها الدينونة لله تخاف وترجف! ثم تخلى أصحاب دين الحق عنه خطوة فخطوة بفعل عوامل داخلة في تركيب المجتمعات الإسلامية من ناحية وبفعل الحرب الطويلة المدى، المنوعة الأساليب، التي أعلنها عليه أعداؤه من الوثنيين وأهل الكتاب سواء. غير أن حالنا المؤلم ليس نهاية المطاف. إن وعد الله قائم، ينتظر العصبة المسلمة، التي تحمل الراية وتمضي، مبتدئة من نقطة البدء، التي بدأت منها خطوات رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو يحمل دين الحق ويتحرك بنور الله.

"ولنلحظ أن الحق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ جاء بهذا القول ليؤكد أن الإسلام قد جاء ليظهر فوق أي ديانة فاسدة، ونحن نعلم أن هناك ديانات متعددة جاءت من الباطل،

(١) سورة الأنفال: ٣٩.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي: ١٠/١٨٨.

فسبحانه القائل: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾[1].

ونتوقف عند قول الحق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، فلو أن الفساد كان في الكون من لون واحد، كان يقال ليظهره على الدين الموجود الفاسد، ولكنَّ هناك أديانًا متعددة؛ منها البوذية وعقائد المشركين، وديانات أهل الكتاب والمجوس الذين يعبدون النار أو بعض أنواع من الحيوانات، وكذلك الصابئة.

ولذلك فإن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يريد أن يظهر دينه؛ الذي هو دين الحق على دين واحد؛ من أديان الباطل الموجودة، ولكن يريد سبحانه أن يظهره على هذه الأديان كلها، وأن يعليه حتى يكون دين الله واقفاً فوق ظَهْر هذه الأديان كلها، والشيء إذا جاء على الظَّهْر أصبح عالياً ظاهراً. والحق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقول: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾[2].

أي: أن يأتوا فوق ظهره. وكل الأديان هي في موقع أدنى بكثير من الدين الإسلامي.

بعض الناس يتساءل: إذن كيف يكون هناك كفار ومجوس وبوذيون وصابئون وأصحاب أديان أخرى كاليهودية والنصرانية، فما زالت دياناتهم موجودة في الكون وأتباعها كثيرون، نقول: لنفهم معنى كلمة الإعلاء، إن الإعلاء هو إعلاء براهين وسلامة تعاليم، بمعنى أن العالم المخالف للإسلام سيصدم بقضايا كونية واجتماعية، فلا يجد لها مخرجاً إلا باتباع ما أمر به الإسلام ويأخذون تقنيناتهم من الإسلام، وهم في هذه الحالة لا يأخذون تعاليم الإسلام كدين، ولكنهم يأخذونها كضرورة اجتماعية لا تصلح الحياة بدونها.

إن الحق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد جعل من المعارضين للإسلام من يظهر الإسلام على غيره من الأديان لا ظهور اقتناع وإيمان، لا! بل يظلون على دينهم ولكن ظروفهم تضطرهم إلى أن يأخذوا حلولاً لقضاياهم الصعبة من الإسلام. وهو ظهور غير إيماني ولكنه ظهور إقراري، أي رغماً عنهم.

﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ وهذا يعني أن الحق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد جعل من المعارضين للإسلام من يظهر الإسلام على غيره من الأديان لا ظهور اقتناع وإيمان، لا! بل يظلون على دينهم ولكن ظروفهم تضطرهم إلى أن يأخذوا حلولاً لقضاياهم الصعبة من الإسلام. وهو ظهور غير إيماني ولكنه ظهور إقراري، أي رغماً عنهم. وكانت الكنيسة الكاثوليكية في

(١) سورة المؤمنون: ٧١.
(٢) سورة الكهف: ٩٧.

الفاتيكان تحارب الطلاق وتهاجم الإسلام لأنه يبيح الطلاق، ثم اضطرتهم المشكلات الهائلة التي واجهت المجتمع الإيطالي وغيره من المجتمعات الأوروبية إلى أن يبيحوا الطلاق؛ لأنهم لم يجدوا حلاً للمشكلات الاجتماعية الجسيمة إلا بذلك"(١).

فما بعث به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الهدى ودين الحق، أكبر دليل وبرهان على صدقه، وهو برهان باق ما بقي الدهر، كلما ازداد العاقل تفكراً، ازداد به فرحاً وتبصراً.

وَلذا عَبَّرَ الله عَزَّوَجَلَّ عَنِ الْإِسْلَامِ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ تَنْوِيهاً بِفَضْلِهِ، وَتَعْرِيضاً بِأَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ لَيْسَ بِهُدًى وَلَا حَقٍّ. وحتى لو قارنَّا بين دين الإسلام وما قبله من الشرائع التي نزلت لألفينا فضل الإسلام جلياً واضحاً، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَفِي إِرْسَالِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحِكَمِ وَالْمَصَالِحِ أَعْظَمُ مِمَّا كَانَ فِي إِرْسَالِ مُوسَى وَالْمَسِيحِ، وَالَّذِي حَصَلَ بِهِ مِنْ صَلَاحِ الْعِبَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ أَضْعَافُ مَا حَصَلَ بِإِرْسَالِ مُوسَى وَالْمَسِيحِ مِنْ جِهَةِ الْأَمْرِ وَالْخَلْقِ. فَإِنَّ فِي شَرِيعَتِهِ مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ أَكْمَلَ مِمَّا فِي الشَّرِيعَتَيْنِ الْمُتَقَدِّمَتَيْنِ"(٢).

ويقول أيضاً: "فَلَيْسَ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالنُّبُوَّاتِ مَا هُوَ مِنَ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ إِلَّا وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ أَوْ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ. وَفِي الْقُرْآنِ مِنَ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ مَا لَيْسَ فِي الْكِتَابَيْنِ"(٣).

"وَذُكِرَ الْمُشْرِكُونَ هُنَا لِأَنَّ ظُهُورَ دِينِ الْإِسْلَامِ أَشَدُّ حَسْرَةٍ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ، لِأَنَّهم الَّذين ابتدأوا بِمُعَارَضَتِهِ وَعَدَاوَتِهِ وَدَعَوُا الْأُمَمَ لِلتَّأَلُّبِ عَلَيْهِ وَاسْتَنْصَرُوا بِهِمْ فَلَمْ يُغْنُوا عَنْهُمْ شَيْئاً، وَلِأَنَّ أَتَمَّ مَظَاهِرِ انْتِصَارِ الْإِسْلَامِ كَانَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَهِيَ دِيَارُ الْمُشْرِكِينَ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ غَلَبَ عَلَيْهَا، وَزَالَتْ مِنْهَا جَمِيعُ الْأَدْيَانِ الْأُخْرَى، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا يَبْقَى دِينَانِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ)). فَلِذَلِكَ كَانَتْ كَرَاهِيَةُ الْمُشْرِكِينَ ظُهُورَهُ مَحِلَّ الْمُبَالِغَةِ فِي أَحْوَالِ إِظْهَارِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ كَمَا يَظْهَرُ بِالتَّأَمُّلِ"(٤).

إن هدفنا من التذكير بهذه المقالة في بيان ما دلت عليه الآية، هو التنبيه إلى ضرورة مراجعة ما نحن عليه من الوسائل والأساليب المختلفة التي ننشد من خلالها نصرة الإسلام وإظهاره، فإن كانت معززة وخادمةً لمنهج (الهدى ودين الحق) الذي أرسل به نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتلك عاجل البشرى بالنصر ولو بعد حين، أما إن كنا نطوح بعيداً عنها، فإننا أبعد ما نكون عن ذلك الأمر المقدور والنصر الموعود. ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾(٥).

(١) تفسير الشعراوي، الخواطر: ٨/٥٠٥٦.
(٢) الجواب الصحيح: ٥/٧١.
(٣) المصدر السابق: ٥/٧٣.
(٤) التحرير والتنوير: ١١/١٧٣.
(٥) سورة يوسف.

عُبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وإنكـــاره على حكـــام عصـــره

د. عبـــدالله بن فيصـــل الأهـــدل

من البدع التي ظهرت في هذا العصر، اعتقاد بعض من ينتسب للعلم أن الإنكار العلني أمام الملأ على الحكام والسلاطين مخالفٌ لما عليه سلف الأمة بل هو من بدع الخوارج! وقد يسميه بعضهم الخروج بالكلمة، وهذا القول المحدث مع مخالفته للنصوص الشرعية، هو مخالفٌ لواقع السلف من مئات الوقائع العينية من لدن الصحابة والتابعين، وأما التابعون لهم بإحسان إلى يومنا هذا فمئات الوقائع بحيث يمكن أن يجمع فيها مجلد بل مجلدات، ينكرون في تلك الوقائع على أمرائهم وحكامهم المنكرات المخالفة للشرع، حتى شمل ذلك السنن والمستحبات فضلاً عن المنكرات الصريحة، وفضلاً عن تبديل الدين في أصوله وقواعده

كما هو حاصل اليوم، كل ذلك علناً أمام الملأ، وليس حديثنا عن مشروعية الإسرار بالنصيحة للحاكم إذا اقتضت المصلحة ذلك كأن يكون المنكر شخصياً، أو لم يكن المنكر ظاهراً عاماً، فإن الإسرار حين إذ لا شك في جوازه، بل هو الأفضل إذا تحققت المصلحة به، واندفعت المفسدة، وإنما مرادنا الرد على من زعم بدعية الإنكار العلني أمام الملأ، وأنه مسلك الخوارج وليس من هدي السلف وأئمتهم.

فهذا عبادة بن الصامت الأنصاري أبو الوليد الإمام القدوة وأحد النقباء ليلة العقبة، ومن أعيان البدريين، وشهد المشاهد كلها مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]. أضع سيرته في الإنكار على أمراء عصره بين يديك في هذه الوريقات:

- عن عبادة بن الصامت قَالَ: بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ[2].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم، إلا أن تروا منهم منكراً محقَّقاً تعلمونه من قواعد الإسلام؛ فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحقِّ حيث ما كنتم"[3].

- عن عبادة بن الصامت الأنصاري النقيب[4] صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه غزا مع معاوية أرض الروم. فنظر إلى الناس وهم يتبايعون كسر الذهب بالدنانير[5] وكسر الفضَّة بالدراهم. فقال: يا أيُّها الناس إنَّكم تأكلون الربا؛ سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ((لَا تَبْتَاعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إِلَّا مِثْلاً بِمِثْلٍ، لَا زِيَادَةَ بَيْنَهُمَا وَلَا نَظِرَةَ)). فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: يَا أَبَا الْوَلِيدِ، لَا أَرَى الرِّبَا فِي هَذَا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ نَظِرَةٍ.

فَقَالَ عُبَادَةُ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُحَدِّثُنِي عَنْ رَأْيِكَ! لَئِن أَخْرَجَنِي اللَّهُ لَا أُسَاكِنُكَ بِأَرْضٍ لَكَ عَلَيَّ فِيهَا إِمْرَةٌ. فَلَمَّا قَفَلَ لَحِقَ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَقْدَمَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، وَمَا قَالَ مِنْ مُسَاكَنَتِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ إِلَى أَرْضِكَ، فَقَبَّحَ اللَّهُ أَرْضاً لَسْتَ فِيهَا وَأَمْثَالُكَ. وَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ: لَا إِمْرَةَ لَكَ عَلَيْه، وَاحْمِلْ النَّاسَ عَلَى مَا قَالَ، فَإِنَّهُ هُوَ الْأَمْرُ[6].

- عن أبي الأشعث قال: غزونا غزاة وعلى الناس معاوية فغنمنا غنائم كثيرة فكان فيما غنمنا آنية من فضَّة فأمر معاوية رجلاً أن يبيعها في أعطيات الناس فتسارع الناس في ذلك فبلغ عبادة بن الصامت فقام فقال: إني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهى عن بيع الذهب بالذهب والفضَّة بالفضَّة والبرِّ بالبرِّ

(١) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٥.
(٢) رواه البخاري (٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).
(٣) شرح صحيح مسلم: ١٢/ ٢٢٩.
(٤) أي: نقيب الأنصار ليلة العقبة.
(٥) أي: قطع الذهب، والمقصود بيعها دون وزن.
(٦) رواه ابن ماجة (١٨)، وصححه الألباني.

والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح إلا سواءً بسواء عيناً بعينٍ فمن زاد أو ازداد فقد أربى. فردَّ الناس ما أخذوا فبلغ ذلك معاوية فقام خطيباً فقال: ألا ما بالُ رجال يتحدَّثون عن رسول الله ﷺ أحاديث قد كنَّا نشهده ونصحبه فلم نسمعها منه. فقام عبادة بن الصامت فأعاد القصَّة ثمَّ قال: لنُحَدِثنَّ بما سمعنا من رسول الله ﷺ وإن كرِهَ معاوية. أو قال: وإن رَغِم، ما أبالي أن لا أصحبه في جنده ليلة سوداء[1].

- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: ((سَيَلِي أُمُورَكُمْ مِنْ بَعْدِي رِجَالٌ يُعَرِّفُونَكُمْ مَا تُنْكِرُونَ وَيُنَكِّرُونَكُمْ مَا تَعْرِفُونَ، فَلَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى، فَلَا تَعْتَلُّوا بِرَبِّكُمْ))[2].

وقد وردت فيه قصَّة عن يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ، عَنِ ابْنِ خُثَيْمٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، مَرَّتْ عَلَيْهِ قِطَارَةٌ وَهُوَ بِالشَّامِ تَحْمِلُ الْخَمْرَ فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟ أَزَيْتٌ؟ قِيلَ: لَا بَل خَمْرٌ تُبَاعُ لِفُلَانٍ، فَأَخَذَ شَفْرَةً مِنَ السُّوقِ فَقَامَ إِلَيْهَا وَلَمْ يَذَرْ مِنْهَا رَاوِيَةً إِلَّا بَقَرَهَا، وَأَبُو هُرَيْرَةَ إِذْ ذَاكَ بِالشَّامِ فَأَرْسَلَ فُلَانٌ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ: أَلَا تُمْسِكُ عَنَّا أَخَاكَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ: إِمَّا بِالْغَدَوَاتِ فَيَغْدُو إِلَى السُّوقِ فَيُفْسِدُ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ مَتَاجِرَهُمْ، وَإِمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَقْعُدُ بِالْمَسْجِدِ لَيْسَ لَهُ عَمَلٌ إِلَّا شَتْمُ أَعْرَاضِنَا وَعَيْبُنَا فَأَمْسِكْ عَنَّا أَخَاكَ، فَأَقْبَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَمْشِي حَتَّى دَخَلَ عَلَى عُبَادَةَ فَقَالَ: يَا عُبَادَةُ مَا لَكَ وَلِمُعَاوِيَةَ؟ ذَرْهُ وَمَا حَمَلَ فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾[3]، قَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ لَمْ تَكُنْ مَعَنَا إِذْ بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ بَايَعْنَاهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ نَقُولَ فِي اللَّهِ لَا تَأْخُذُنَا فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ نَنْصُرَهُ إِذَا قَدِمَ عَلَيْنَا يَثْرِبَ فَنَمْنَعَهُ مَا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا وَأَزْوَاجَنَا وَأَهْلَنَا وَلَنَا الْجَنَّةُ، وَمَنْ وَفَّى وَفَّى اللَّهُ لَهُ الْجَنَّةَ بِمَا بَايَعَ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَا يُكَلِّمُهُ أَبُو هُرَيْرَةَ بِشَيْءٍ، فَكَتَبَ فُلَانٌ إِلَى عُثْمَانَ بِالْمَدِينَةِ أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ قَدْ أَفْسَدَ عَلَيَّ الشَّامَ وَأَهْلَهُ، فَإِمَّا أَنْ يَكُفَّ عَنَّا عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، وَإِمَّا أَنْ أُخَلِّيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّامِ، فَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى فُلَانٍ أَدْخِلْهُ إِلَى دَارِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَبَعَثَ بِهِ فُلَانٌ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَدَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ الدَّارَ وَلَيْسَ فِيهَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ السَّابِقِينَ بِعَيْنِهِ وَمَنَ التَّابِعِينَ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْقَوْمَ مُتَوَافِرِينَ فَلَمْ يُهِمَّ عُثْمَانُ بِهِ إِلَّا وَهُوَ قَاعِدٌ فِي جَانِبِ الدَّارِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا لَنَا

(١) رواه مسلم (١٥٨٧).
(٢) رواه أحمد (٢٢٧٨٦) والحاكم (٥٥٣٠) وغيرهما، وسنده ضعيف؛ إلا أنه قوي بشواهده، ولذلك ذكره الألباني في الصحيحة (٥٩٠).
(٣) سورة البقرة: ١٣٤.

وَلَكَ يَا عُبَادَةُ؟ فَقَامَ عُبَادَةُ قَائِماً وَانْتَصَبَ لَهُمْ فِي الدَّارِ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا الْقَاسِمِ يَقُولُ: ((سَيَلِي أُمُورَكُمْ مِنْ بَعْدِي رِجَالٌ يُعَرِّفُونَكُمْ مَا تُنْكِرُونَ وَيُنْكِرُونَ عَلَيْكُمْ مَا تَعْرِفُونَ، فَلَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى اللَّهَ، فَلَا تَضِلُّوا بِرَبِّكُمْ)). فَوَالَّذِي نَفْسُ عُبَادَةَ بِيَدِهِ، إِنَّ فُلَاناً لَمِنْ أُولَئِكَ فَمَا رَاجَعَهُ عُثْمَانُ بِحَرْفٍ[1].

فهذا إنكار علنيٌّ على معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل وتغيير للمنكر باليد. ودروس في المسجد في بيان منكرات في ولاية معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومعاوية كان متأوِّلاً أنَّ هذه تجارة أهل الذمَّة فيما بينهم.

- كَانَ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ مَعَ مُعَاوِيَةَ، فَأَذَّنَ يَوْماً، فَقَامَ خَطِيبٌ يَمْدَحُ مُعَاوِيَةَ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ، فَقَامَ عُبَادَةُ بِتُرَابٍ فِي يَدِهِ، فَحَشَاهُ فِي فَمِ الخَطِيْبِ، فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ. فَقَالَ لَهُ عُبَادَةُ: إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ مَعَنَا حِيْنَ بَايَعْنَا رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالعَقَبَةِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا، وَمَكْرَهِنَا، وَمَكْسَلِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُوْمَ بِالحَقِّ حَيْثُ كُنَّا، لاَ نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ، وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِذَا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي أَفْوَاهِهِمُ التُّرَابَ))[2].

رحم الله الصحابي الجليل عبادة بن الصامت ورضي عنه.

(١) رواه الشاشي في مسنده (١٢٥٨) ومن طريقه ابن عساكر (٥٥٤٧) وإسنادها قابل للتحسين.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٢/٧. وقال محققه رجاله ثقات خلا الوليد بن داود بن محمد فإنني لم أعرفه.

لمحات وتبصُّرات وعقبات في طريق العلماء والدعاة

د. حكمـــت أحمـــد الحريـــري

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه تسليماً.

أما بعد فهذه لمحات وتبصُّرات وعقبات في طريق العلماء والدعاة.

الإسلام هو دين الله الذي ارتضاه لعباده:لأنه دين الفطرة، فطرة الله التي خلق الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم.

ورسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتمة الرسالات السماوية، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين ورحمة الله للعالمين، قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[2]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾[3].

وفي مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أعطيت خمساً لم يعطهنَّ نبي قبلي – ولا أقوله فخراً –: بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تُحَلَّ لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي فهي لمن لا يشرك بالله شيئاً))[4].

إن أول جوانب الظهور والاستعلاء لهذا الدين ووجوه العظمة في الإسلام تبرز حين نعلم أنه الدين الذي ارتضاه الله للناس جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها، وكان كل نبي يبعث إلى قومه، وعظمة الإسلام

(١) سورة الأحزاب: ٤٠.

(٢) سورة الأنبياء.
(٣) سورة سبأ.
(٤) أخرجه الإمام أحمد برقم ٢٧٤٢.

تنبع من ذاته، فعلى الرغم من كيد الأعداء ومكرهم وتدبيرهم وضعف دعاة الإسلام أحياناً إلا أن مكامن القوة والظهور في دين الإسلام قائمة لا تتحول، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

وعندما أنكر المشركون رسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورفضوا أن يكتب في كتاب الصلح يوم الحديبية (رسول الله) أكدها الله تعالى وأثبت رسالة النبي في سورة الفتح التي نزلت في صلح الحديبية، فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾[4]، وقال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾[5].

> **بالإضافة إلى عالمية الدعوة الإسلامية فإن الأحكام الشرعية ومبادئ العقيدة والتوحيد، جاءت على غاية من الوضوح والجلاء، فهي سهلة مختصرة وموجزة للغاية يسيرة للفهم واضحة الدلالات والمعاني.**

وثمة جانب آخر تبرز من خلاله عظمة دين الإسلام، فبالإضافة إلى عالمية الدعوة الإسلامية فإن الأحكام الشرعية ومبادئ العقيدة والتوحيد، جاءت على غاية من الوضوح والجلاء، فهي سهلة مختصرة وموجزة للغاية يسيرة للفهم واضحة الدلالات والمعاني، فسورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ تعدل ثلث القرآن. ومعنى الحديث الوارد بهذا

(١) سورة التوبة.
(٢) سورة الفتح.
(٣) سورة الفتح.
(٤) سورة الفتح.
(٥) سورة الفتح.

الشأن أن موضوع التوحيد والإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ يشمل ثلث القرآن.

وسورة العصر قال الإمام الشافعي بشأنها: "لو تأمل الناس هذه السورة لكفتهم".

قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[1]، فقد اشتملت السورة على أربع صفات: الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر.

فقد أوجزت في هذه السورة المباركة مضامين أربع سور: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة.

ففي سورتي البقرة وآل عمران وردت معظم الأحكام الشرعية، ووسائل أخرى متعلقة بالإسلام والإيمان جاءت موجزة في جزء من سورة العصر بقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

وسورة النساء فصلت المواريث وحقوق الأرحام والأمر بالقسط وإيفاء الحقوق، فأوجزت بقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾.

وسورة المائدة سورة العقود، عقود الحلال والحرام والوفاء بالعهد، والحث على الحلال من المطعومات والمشروبات والمنكوحات، واجتناب الحرام من كل ذلك، وأوجزت بقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾.

والتزام الحلال واجتناب الحرام يحتاج إلى الصبر، ومن ثم الإيمان نصفان: نصفه صبر، ونصفه شكر، صبر على فعل الطاعات واجتناب المحرمات وشكر لله على ما وهب من النعم والخيرات.

ومن الآيات المشتملة على كليات الأحكام وفيها من الأوامر والنواهي وهو دليل في نفس الوقت على إعجاز القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾[2].

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: "إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ...﴾ الآية"[3].

ومن الآيات الجامعة لكليات الأحكام ما ورد بتعبير موجز بليغ قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ۝٢٩﴾[4].

فجميع الواجبات محصورة في هذه الآية الكريمة، إذ الواجبات محصورة في حق الله تعالى وحق عباده. وحق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.

وجميع المحرمات محصورة في قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣٢﴾[5].

(١) سورة العصر.
(٢) سورة النحل.
(٣) انظر تفسير ابن كثير للآية.
(٤) سورة الأعراف.
(٥) سورة الأعراف.

فكل ما حرم تحريماً مطلقاً عاماً لا يباح في حال فهو داخل في هذه المذكورات في الآية الآنفة[1].

ما الحكمة في إيجاز بعض السور؟

إن بعض السور كما ذكرنا جاءت على غاية الإيجاز والقصر، كسورة العصر وسورة الكوثر وسورة الكافرون وسورة الإخلاص... إلخ من قصار السور.

الحكمة من ذلك لتحقيق وعد الله عَزَّوَجَلَّ بحفظ هذا القرآن وظهور دين الإسلام على سائر الأديان، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[2]، فليس حفظ القرآن لمحض كونه كتاب الله، فإن التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية كلها كتب الله عَزَّوَجَلَّ، ولكنها منزلة على أنبياء الله ومع ذلك تعرضت للتحريف والتزوير، وما حفظ القرآن وصيانته من الله عَزَّوَجَلَّ من التحريف والتزوير إلا ليتم الأمر الإلهي لظهور دين الإسلام وهيمنته على سائر الأديان، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾[3].

لقد تنوع أسلوب الخطاب القرآني وتكرر، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ...﴾[4]. يشبه بعضه بعضاً في البلاغة والوضوح وتكررت قصصه وأحكامه ومواعظه مرة بعد مرة، تنوع أسلوب الخطاب في القرآن ما بين الإسهاب والتطويل والإيجاز والاختصار والتكرار لفوائد شتى منها: أن التكرار يفيد الإقرار، وتنوع الأسلوب لمخاطبة جميع العقول، وتيسير فهمه لجميع مستويات الناس الصغار والكبار، والعلماء والجهلة، وأهل الحضر وأهل البادية.

> **تنوع أسلوب الخطاب في القرآن ما بين الإسهاب والتطويل والإيجاز والاختصار والتكرار لفوائد شتى منها: أن التكرار يفيد الإقرار، وتنوع الأسلوب لمخاطبة جميع العقول، وتيسير فهمه لجميع مستويات الناس الصغار والكبار، والعلماء والجهلة، وأهل الحضر وأهل البادية.**

ثم إن أصول القواعد الفقهية التي استنبطها العلماء من الكتاب والسنة سلكت عين المسلك القرآني والسنة النبوية في الوضوح والإيجاز إلى حد كبير، تأمل مثلاً بعض هذه القواعد: الشارع لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما مفسدته خالصة أو راجحة. الوسائل لها أحكام المقاصد فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. المشقة تجلب التيسير. الوجوب يتعلق بالاستطاعة فلا

(١) انظر تفسير السعدي للآية.
(٢) سورة الحجر.
(٣) سورة التوبة.
(٤) سورة الزمر: ٢٣.

واجب مع العجز ولا محرم مع الضرورة. الأصل في العبادة الحظر فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله ورسوله، والأصل في العادات الإباحة فلا يحرم منها إلا ما حرمه الله ورسوله. البيِّنة على المدعي واليمين على من أنكر. اليقين لا يزول بالشك. من تعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه. الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً. إذا تزاحمت المصالح قدم الأعلى فيقدم الواجب على المستحب. لا ضرر ولا ضرار. الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً. إذا أدَّى ما عليه وجب له ما جُعِل له عليه... إلخ[1].

نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا:

هذه جملة من ضمن ما يبدأ به الخطيب حينما يعظ الناس أو في محفل له هيبة ووقار وهذه الجملة من كلام النبوة، فإن المصائب سببها الذنوب، وأولاً يجب على المسلم أن ينظر إلى عيوب نفسه وذنوبها فيصلحها ويستغفر ربه ويتوب إليه، إن هذا أفضل السبل وأوسعها لإصلاح حال المجتمع، لكن الواقع في أيامنا هذه هو تركيز أكثر الناس على عيوب الآخرين والنظر إلى مفاسدهم وانحرافهم وينسى هو عيوب نفسه وانحرافه في سلوكه، مما يحدث الفوضى والاضطراب والتباغض والحسد والقطيعة والفرقة والتشتت في الجهود كالجسد الذي أصابه المرض تماماً لا بد له من علاج.

والحق الذي لا مرية فيه هو أن القرآن الكريم والسنة النبوية جاء فيها المنهج السليم والسلوك فيها هو الصراط المستقيم، فالمصائب والنكبات إنما هي بسبب ذنوبنا، لما وقعت غزوة أحد في السنة الثالثة من الهجرة حصلت نكبة للمسلمين قتل سبعين من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشُجَّ وجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقتل حمزة عم رسول الله ... إلخ.

كل ذلك حصل لأن الرماة الذين كانوا على ظهر جبل أحد خالفوا أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وظنوا أنَّ المعركة قد انتهت وهزم المشركون في أول الأمر. نزل الرماة من ظهر الجبل ولم يلتزموا توجيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما قال لهم: ((لو رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا أمكنتكم)). ولما تساءل المسلمون عن سبب هذا التحويل من النصر إلى الهزيمة جاء الجواب في قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾[2]، فلسنا أعز على الله من النبي وأصحابه، فالذنوب تجلب المصائب والنكبات.

وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[3].

وقال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾[4].

---

(١) انظر: القواعد والأصول الجامعة للسعدي.

(٢) سورة آل عمران.

(٣) سورة الروم.

(٤) سورة النساء: ٧٩.

وقد ظن بعض الناس أن في هذه الآية إشكالاً أو تناقضاً في الظاهر مع قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وهذا من قلة فهمهم وعدم تدبرهم للآية، فليس فيها تناقض لا في لفظها ولا في معناها فإن الله تعالى ذكر عن المنافقين والناكصين عن الجهاد: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾[1].

هذا يقولونه لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أي بسبب ما أمرتنا بما أوجبها، فالسيئات وهي المصائب والأعمال التي ظنوا أنها سبب المصائب هو أمرهم بها، وقولهم من عندك تتناول مصائب الجهاد ومصائب الرزق على جهة التشاؤم والتطير. أي هذه عقوبة لنا بسبب دينك[2].

وعن قوم سبأ بين لنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ المصيبة التي حلت بهم وسبب ذلك فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾[3].

وقال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "علمني رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دعاء: ((قل اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد ألا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءاً، أو أجره إلى مسلم. قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك))"[4].

وفي الحديث القدسي: ((يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها؛ فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه))[5].

فهلا أصلحنا أنفسنا قبل أن ندعو إلى إصلاح غيرنا؟ هل غيرنا ما في أنفسنا من طمع أو جشع أو أَثَرَةٍ أو فسوق قبل أن نعمل على تغيير طمع الآخرين أو جشعهم أو فسوقهم وفسادهم وآثامهم؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾[6].

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها

فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ

هكذا يكون طريق الاستقامة والتغيير إلى الأفضل.

وصلى الله على نبينا محمد.

(١) سورة النساء: ٧٨.
(٢) انظر: الحسنة والسيئة لشيخ الإسلام ابن تيمية: ص ٣٨.
(٣) سورة سبأ.
(٤) رواه الترمذي برقم ٣٣٩٢، وقال: حديث حسن صحيح.
(٥) رواه مسلم برقم ٢٥٧٧ عن أبي ذر.
(٦) سورة الرعد: ١١.

أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟

د. عادل حسن الحمد

رفع الله قدر العلماء وأعلى من شأنهم فقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾(١)، وأثنى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على العلماء وبين منزلتهم وفضلهم في أحاديث كثيرة، منها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ)). رواه الترمذي.

ولكن أين العلماء اليوم؟ ولماذا نبحث عنهم؟

للإجابة على هذا السؤال علينا أن نتأمل هذه القصة التي رواها لنا البخاري ومسلم وأهل السنن والمسانيد عن الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعَ مُعَاوِيَةَ، يَقُولُ بِالْمَدِينَةِ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْيَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَهُوَ يَقُولُ: ((مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَصُومَهُ فَلْيَصُمْهُ))، وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذَا. وَأَخْرَجَ قُصَّةً مِنْ شَعَرٍ مِنْ كُمِّهِ فَقَالَ: ((إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَتْهَا نِسَاؤُهُمْ)).

(١) سورة المجادلة: ١١.

ما الذي أراده معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذه الخطبة؟

أولاً: أراد أن يبين للناس ثبات حكم صيام يوم عاشوراء وأنه مستحب، والإنكار على من أوجبه.

ثانيا: أراد الإنكار على لبس النساء للشعر المستعار (الباروكة) وبيان حرمة ذلك، وأنها كانت سبباً لهلاك بني إسرائيل.

لكنه استفتح خطبته السؤال عن العلماء، فلماذا سأل عنهم؟

سأل عنهم مستنكراً إهمالهم إنكار هذا المنكر وغفلتهم عن تغييره. كما ذكره: (عياض والنووي وابن الملقن).

فقد أدرك معاوية أن من واجبات العلماء إنكار المنكر إذا ظهر في المجتمع، فاستنكر سكوتهم عن هذا المنكر.

سأل عنهم ليؤيدوا قوله، فينزجر عوام الناس عن فعل هذا المنكر. كما ذكره: (عياض وابن الملقن والقسطلاني).

لأن معاوية قد أدرك أن عوام المسلمين ينقادون للعلماء أكثر من انقيادهم للحكام.

سأل عنهم لأنهم هم الذين يلزمهم الإنكار على من استباح ما نهى عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كما ذكره: (ابن الملقن).

فمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعلم أن من واجب العلماء منع الناس من الوقوع فيما نهاهم عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو ترك ما أمرهم به.

سأل عنهم معاوية لأنه خاف أن تهلك الأمة بانتشار هذا المنكر، كما هلكت بنو إسرائيل من قبل، فأراد من العلماء أن يؤازروه في تغيير المنكر. كما ذكره: (ابن عبد البر).

فأراد معاوية من العلماء أن يزاولوا مهنتهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفاظاً على المجتمع من الهلاك.

سأل عنهم معاوية لأن من واجب الخلفاء وسائر ولاة الأمر الاعتناء بإنكار المنكر وإشاعة إزالته وتوبيخ من أهمل إنكاره ممن توجه ذلك له. كما ذكره: (النووي).

فالسلطان إنما يوبخ العالم إذا قصر العالم في إنكار المنكر، وليس العكس.

فأين علماؤنا اليوم من هذه المنكرات التي شاعت في بلاد المسلمين؟

إن العلماء في كل زمان ينقسمون إلى أقسام؛

فمنهم: من يزين للسلطان فعل المنكر، ويضفي الشرعية على أفعاله المنكرة الشنيعة، ويضل الناس بذلك. وما قصة ابن أبي دؤاد مع الخليفة العباسي إلا مثال من الأمثلة.

ومنهم: من يفضل الانشغال بالعلم والانزواء بعيداً عن واقع المجتمع الذي يعيش فيه، فلا هو ينكر المنكر، ولا هو يأمر بالمعروف، ولا هو يحث على ذلك. وأسوؤهم حالاً من يثبط غيره عن القيام بما أوجب الله عليه من العلم وبيان الحق.

ومنهم: العالم الرباني الذي يقول الحق ولا يخاف في الله لومة لائم.

وهذا الصنف الأخير هو الذي يبتلى على يد السلاطين غالباً، فيضرب ويهان، كما ضرب الإمام مالك حتى خلعت يده، وأهين بين الناس.

ويسجن ويعذب في سجنه، كما سجن الإمام أحمد وجلد حتى أغمي عليه.

ويطرد وينفى من بلده فيغترب حتى الموت، كما طرد الإمام البخاري ومات منفيا في الغربة.

ويلاحق من مكان إلى آخر، فيعيش متخفياً حتى الموت، كما طورد سفيان الثوري ومات متخفياً.

ويتآمر عليه علماء السوء ويحرضون عليه الحكام، كما تآمروا على ابن تيمية وسجنوه.

ويحاصر ويمنع من السفر فيهرب متخفياً من بلده، كما فعل محمد رشيد رضا.

ويكبل بالحديد حتى الموت، وليعلم الناس أن ناساً ماتوا في حديدهم من أجل هذا الدين، كما حصل مع محمد بن نوح صاحب الإمام أحمد.

ويمنع من التحديث في المساجد، ومن الخطابة ووعظ الناس، بل ومن الكتابة والتأليف والتغريد، كما فُعل بعلماء هذا الزمان.

وها نحن على الأثر. قالها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

فأين علماؤنا؟ وأين معاوية؟

رحم الله علماء المسلمين الصادقين، وفرج كربتهم، وأعلى منزلتهم، وأهلك عدوهم.

ورضي الله عن خال المؤمنين، وكاتب الوحي الأمين، معاوية بن أبي سفيان الأموي.

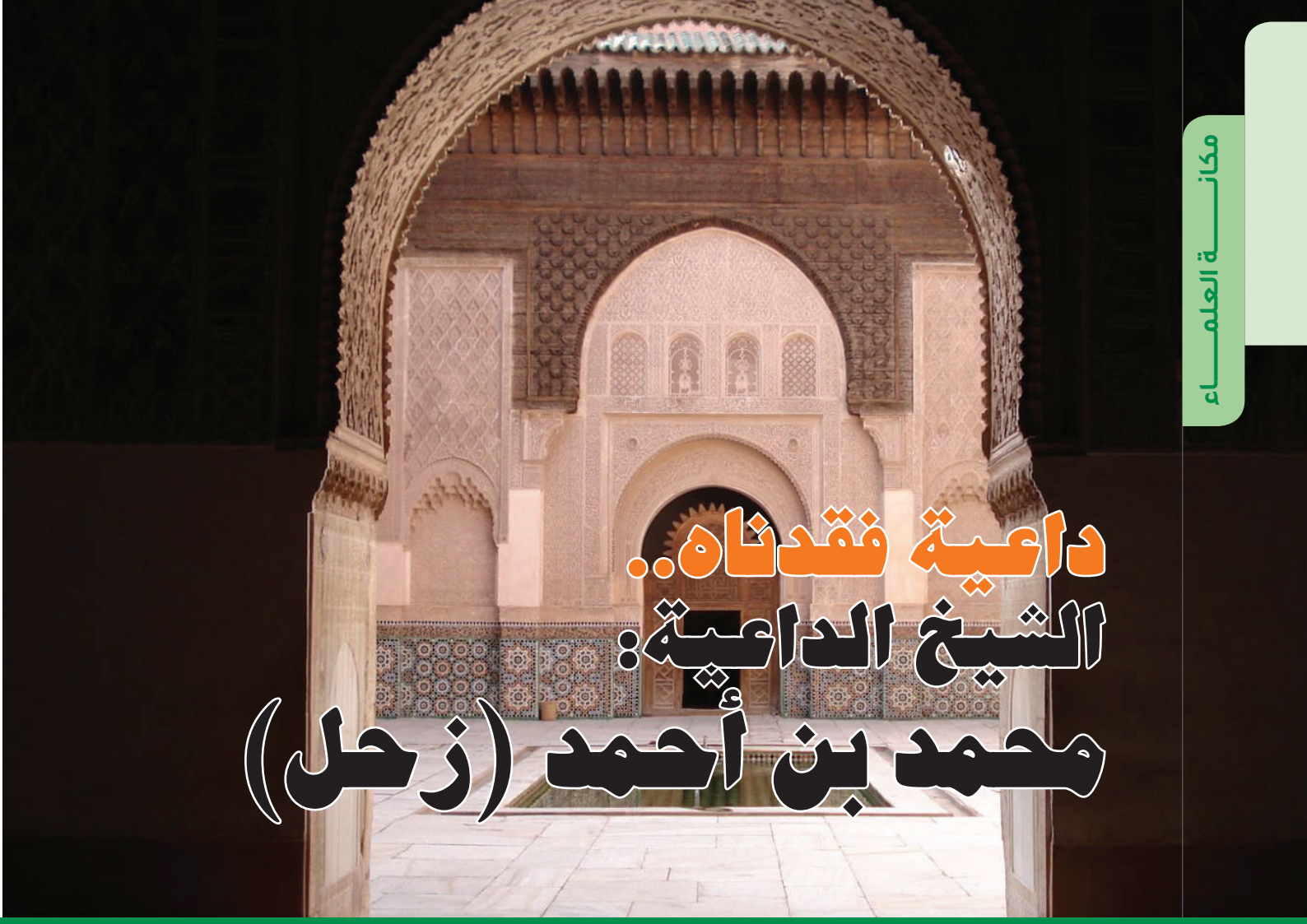

داعية فقدناه..
الشيخ الداعية:
محمد بن أحمد (زحل)

د. محمد ألواح

إمام وفقيه، صاحب كتاب: إتحاف نبلاء الساحة بآثار فضلاء حاحة

[بتصرف يسير]

ولادته ودراسته الأولية:

طلع صباح ميلاده على أرض تيلوا بـ(نكنافة) سنة ١٣٦٣ للهجرة ١٩٤٣ للميلاد، ولما بلغ طور التعلم اندفع إلى الكُتَّاب، فتولى أبوه تعليمه وتهذيبه بنفسه؛ حتى قطع أشواطاً في مجال الدراسة، فإذا به مني بشلل مستحكم من أطراف رجليه؛ فلم يعد يطيق النهوض عليهما ثلاث سنوات ظل خلالها يستشفي بالرُّقى القرآنية والتعاويذ المأثورة حتى شفاه الله تعالى، ثم عاود دراسة القرآن الكريم فحذقه حذاقة تامة في ظرف أربع سنوات.

دراسته العلمية:

لما استوفى كتاب الله عزم أبوه على بعثه إلى مدارس القراءات، لكن فل من عزيمته أحد أصدقائه المخلصين بقوله: إن الأولى والأحرى بمن استظهر كتاب الله تعالى أن يُزج به في المدارس العلمية ليدرك للقرآن الكريم معنى ومغزى، فلذلك اتجه به إلى رحاب مدرسة الجزولي فناجى ذات الأخذ للعربية والفقه الإسلامي عن الأستاذ مولاي أحمد السليماني نحو سنتين، ثم تاقت نفسه إلى التعريج بمجال دراسي أفسح وأوسع فاتصل بالمدرسة الهاشمية

بتمنار؛ فتلقى من أستاذها اللامع سيدي البشير التوفيق المنبهي دروساً شائقة رائقة في النحو واللغة والفقه والسيرة والأدب والمنطق والجغرافيا والإحياء، علاوة على اقتباسه من مكارم أخلاق شيخيه هذا وذاك، وحسن شارتهما الإسلامية؛ فلا يزال يلهج بمتعة دراسته العلمية العتيقة هذه وتأثيرها البالغ في تثقيفه وتكوينه، ثم انتقل إلى تارودانت بانتقال أستاذه المنبهي الذي ندبته جمعية علماء سوس للانخراط في سمط أساتذة المعهد، فغدا المترجم بعد اجتيازه امتحاناً في حفظ القرآن الكريم ومبادئ النحو والفقه أحد تلامذة المعهد؛ فتلقى زهاء سنتين من أساتذتها الأكفاء أمثال الشيخ الكبير عبد الرحمن الرسموكي، والأستاذ الطيب أبا عمراني، والأستاذ محمد السرغيني، والأستاذ عبد الملك أزنير الحاحي، والفقيه سعيد أحلمي الحاحي، والفقيه النحرير محمد – فتحا – العثماني، والأستاذ الأريحي محمد الضوء، والأستاذ أحمد لجاني البودراري، والأستاذ أحمد العدوي. ثم ضاق ذرعاً باضطراب الأجواء وعصف الأنواء تجاه المعهد؛ إذ حاول خصوم الإسلام وأعداء الدين والوطن وقف الحركة الإسلامية وإسقاط النهضة الدينية فأغلقوا المعهد بتواطؤ من الطلبة السذج الذين لا علم لهم بالأهداف السيئة والطوايا الخبيثة التي حنت عليها ضلوع مختلقي الإضراب، فالتحق بمراكش وانضم لتلاميذ كلية ابن يوسف؛ فانقاد لأنظمة أساتذتها المرموقين

وحضر مجالس الشيخ الرحالي فاروق في صحيح البخاري بعد صلاة الصبح في شهور رمضان من سنوات ١٣٨٠-١٣٨٢ للهجرة بالمواسين والجامع اليوسفي، وألقى السمع في محضر الأستاذ البارع الأديب البليغ عبد السلام جبران، لدروس التفسير بين العشاءين بالجامع اليوسفي، وتلقى دروس الحديث والتفسير من الأستاذ أحمد أملاح الذي وصفه بمحبوبه الأثير، وأخذ ألفية ابن مالك عن الأستاذ الماهر في النحو واللغة الحسين راغب المسفيوي، الذي بز وفاق قريبه عبد السلام جبران في التطبيق والتمسك، وناجى ذات الأخذ للأدب العربي عن الأديب الأريب عبد السلام البشيري بلغواطي، وعن الأستاذ عمر فوزي التكزيريني الحاحي.

ومن أساتذته غير النظاميين القاضي الفاضل مولاي أحمد السرغيني درس عليه بعد إحالته على المعاش (الموطأ)

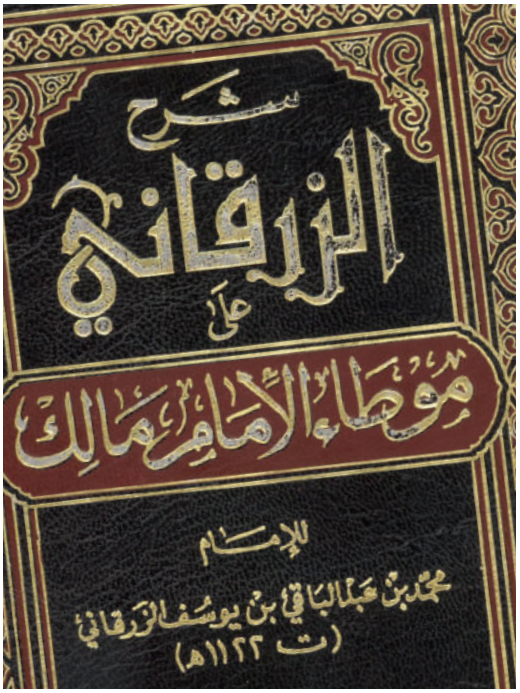

بشرح الزرقاني سنة ١٣٨٣هـ ولهذا الأستاذ الفذ أياد بيضاء على المترجم في تغذية الفكر والجسد معاً.

ثقافته وأخلاقه:

هو من علماء الأمة في الفقه الإسلامي واللسان العربي وآدابه والحديث وعلومه، غزت سمعته الطيبة نوادي الدعاة النصحاء، وعلا صوته منابر البلغاء والفصحاء، تصدى للوعظ فاستفرغ جهده في تنوير العقول المظلمة بالأعراف السيئة، وفي تنظيف الأفكار الملوثة بأوساخ المدنية الجوفاء والحضارة الزائفة، وبعبارة جامعة مانعة هو في منحى الدعوة والتوجيه جبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف، كم من عيون عمياء جلاها بعذوبة منطقه وحلاوة لفظه، وكم من أحلام صداء صقلها بغرر دروسه ودرر مواعظه، وذلك ما جعل له دوياً عالياً وصدى رناناً في أوساط الفقهاء والدعاة والمفكرين، انتبر المنبر وتصدر للخطابة، فكشف عن خطيب لسن مصقع، ساير الأحداث الاجتماعية بالمنهج الوسط والأسلوب المتيسر للأمة الوسط، تأسياً بالسلف الصالح في المبدإ والنمط، وذلك ما أسهم في ارتفاع رنات خطابه، وتزاحم الناس على جنابه.

وكان في شرخ شبابه ومقتبل عمره متولعاً بحرفة الأدب، فكان ممن نفخ بنفس عال في ناره وسبح سبحاً طويلاً في تياره، ظهر له في معرض الأدب العربي إنتاج صدر عن العواطف الجياشة الصادقة، وإبداع أملته المشاعر المرهفة الرائقة، كثير الاسترسال في اللطائف الأدبية والنوادر المستملحة في أوساط معارفه وجلسائه لدى أوقات فراغه، حازم صارم ضنين بوقته ليس في قاموسه وجود لمادة المحاباة والمجاملة والتغاضي لدى انكبابه على البحث والمطالعة والتوجيه والدعوة، ندي الكفين، شكر الله صنيعه.

وظائفـه:

نيطت بكاهله مهمات دينية دعوية وتعليمية في بحبوحة الدراسة وهو ابن عشرين سنة، ولما أتم الدراسة سنة ١٣٨٣هـ التحق بالتعليم بعدة مدارس بالبيضاء.

أما وظائفه الدينية فقد تصدى لوظيفة الإرشاد بالكتاتيب القرآنية نحو سنة، واضطلع بأعباء إلقاء المحاضرات على زملائه في مدرسة المعلمين، وانتبر المنبر

بجامع الحجر بدرب غلف نحو ستة أشهر، وأسندت إليه مهمة الدروس الراتبة في الجامع العتيق بـ (عين الشق) نحو ثلاث سنوات، وقام مع الشيخ محمد مفضال السرغيني بأنشطة في (جمعية أنصار الإسلام)، كما أسس بمشاركة بعض زملائه جمعية (شباب الدعوة الإسلامية) بعين الشق، ومنذ سنة ١٩٧٦م إلى ١٩٨٢م تصدر لملابسة شؤون المنبر بجامع درب الطلبة، ثم انتبر المنبر بمسجد الشهداء، ثم تقلب بحرية في مساجد الدار البيضاء لبث دروس علمية دعوية تمثلت في دروس التفسير، وصحيح مسلم في مسجد درب الطلبة ومسجد الشهداء، وشرح كتاب التوحيد في مسجد (الفوارات) بالحي المحمدي وتفسير سور المفصل في المسجد اليوسفي، ثم شاء الله أن يصدر قرار التوقيف في حقه لمدة بلغت عشر سنوات، ثم عادت المياه إلى مجاريها فاعتلى منبره الدعوي فعادت الفرحة الكبرى والرضى والبشرى إلى آلاف من المسلمين، فاستأنف دروسه في الفقه والحديث والتفسير والتزكية بالمسجد العتيق ومسجد التوحيد ومسجد المصلى ومسجد أبي بكر الصديق، وداوم عليها حتى بلغ الكتاب أجله.

كما كان الشيخ علماً من أعلام الحركة الإسلامية بالمغرب وأحد مؤسسيها ورموزها الكبار، وكان له دور كبير في التوجيه الشرعي لأبنائها.

وفاته:

توفي الشيخ محمد زحل في فاتح ذي الحجة من سنة ١٤٣٨ للهجرة، الموافق ٢٣ أغسطس/آب ٢٠١٧م، في مدينة الدار البيضاء المغربية، عن عمر ناهز ٧٤ عاماً.

رحمه الله وأسكنه فسيح الجنان.

نظرة في حقوق الإنسان (١)

م. محمد حسين محمد
باحث وكاتب سوداني

تعتبر قضية حقوق الإنسان وفق الصياغة الغربية - التي تبنتها الأمم المتحدة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الموقع في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨م - من أسخن القضايا التي يتنازع فيها المسلمون مع المجتمع الغربي حولها، كما يقع التنازع مع بعض المنتسبين للإسلام ممن يتبنى حقوق الإنسان وفق الرؤية الغربية، كذلك تعتبر سلاحاً فتاكاً للمجتمع الغربي للعدوان على الدول المسلمة، وذلك أن هيئة الأمم المتحدة بنيت على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، فبالتالي يحق للهيئة التدخل لحماية حقوق الإنسان - بحسب مفهومهم للحقوق - ولو أدى ذلك للعدوان العسكري.

ونحن نحاول في هذين المقالين - بإذن الله - نبين بعض أوجه الاختلاف بين التصور الإسلامي لحقوق الإنسان والتصور الغربي مع ذكر بعض الأدلة على تفوق الرؤية الإسلامية وعلوها، وسنُمَحِّض المقال الأول في دحض فكرة عالمية حقوق الإنسان.

بداية حتى نتمكن من المقارنة بشكل أفضل يحسن بنا أن نذكر شيئاً من الأصول التاريخية والجذور الفلسفية لفكرة حقوق الإنسان في المجتمع الغربي.

الأصول التاريخية:

تبلور مفهوم حقوق الإنسان في سياقه الغربي عبر الصراع ضد الحكم المطلق والحد من صلاحياته، فإذا تجاوزنا تنظيرات فلاسفة اليونان باعتبار بُعْد العهد، يمكننا أن نعتبر أن الوثيقة العظمى لإنجلترا أو (الماجنا كارتا) المصدرة عام ١٢١٥م أول محاولة جادة ومؤثرة للحد من سلطات ونفوذ الملك البريطاني لصالح المواطنين، وتعرضت الوثيقة لمجموعة من التغييرات إلى أن صدرت بصيغة نهائية عام ١٢٩٧م، ولا تزال هذه الصيغة جزءاً من اللوائح والأنظمة الداخلية لبريطانيا.

كذلك يمكن اعتبار حرب تحرير الولايات المتحدة الأمريكية من سلطة بريطانيا

ملهماً كبيراً لفكرة حقوق الإنسان وفق النموذج الغربي، فقد تضمن إعلان الاستقلال الذي تبناه الكونغرس في ١٧٧٦م فقرات مهمة تتعلق بالحريات وأثرت كثيراً في الحركات التحررية بعد هذا التاريخ.

وقريباً من هذا التاريخ اندلعت الثورة الفرنسية وأعقبها الإعلان الذي أصدرته الجمعية التأسيسية الوطنية في ٢٦ أغسطس ١٧٨٩م والذي يعتبر وثيقة حقوق من وثائق الثورة الفرنسية الأساسية.

الإعلان متأثّر بفكر التنوير ونظريات العقد الاجتماعي والحقوق الطبيعية التي قال بها مفكرون أمثال جان جاك روسو، جون لوك، فولتير، مونتيسكيو، وقد شكل الخطوة الأولى لصياغة الدستور.

هذه المواثيق الثلاثة هي الإعلانات الأكثر تأثيراً على صياغة الميثاق العالمي لحقوق الإنسان، ومن الملاحظ أن هذه المؤثرات كلها جاءت في سياق المجتمع الغربي فهي وليدة ظروفه التاريخية وفلسفاته المتأثرة ببيئته مما يقوض دعاوى عالمية حقوق الإنسان، كما سنبينه لاحقاً.

الجذور الفلسفية:

تشكل مفهوم وفكرة حقوق الإنسان في الواقع الغربي جعله أسيراً للفكر الليبرالي حيث أن الخيط الناظم لمعظم الدول الغربية هو الفكر الليبرالي، ويمكن تلخيص تأثير الفكر الليبرالي على مفهوم حقوق الإنسان في الآتي:

(١) فكرة الحق الطبيعي:

فالحقوق عند أهل الاختصاص تنقسم إلى قسمين: حق طبيعي، وحق قانوني. فالقانوني هو ما اكتسبه الإنسان بالقانون الوضعي، وهو قابل للتغير باختلاف القوانين والتشريعات. أما الحق الطبيعي فمصدره آدمية الإنسان، فكل إنسان بمجرد ولادته يكتسب حقوقاً غير قابلة للتغيير أو حتى التنازل وجميع البشر شركاء في هذه الحقوق، وهذا هو مصدر العالمية فيها، فالمنظرون لحقوق الإنسان في الغرب ينظرون لهذه الحقوق على أنها يجب نشرها في كل العالم ويجب خضوع كل الدول لهذه الحقوق ولو باستخدام القوة.

والحقيقة أن فكرة الحق أو القانون الطبيعي جذورها يونانية، إلا أنها لم تغب عن وعي المجتمع الأوروبي، فحتى فلاسفة العصور الوسطى وعصر النهضة استخدموا كثيراً فكرة الحق الطبيعي، مثل القديس ألبيرت الكبير وتلميذه توما الإكويني، ثم تم استخدام مفهوم القوانين الطبيعية في عصر التنوير للطعن في الحق الإلهي للملوك، وأصبح مبرراً بديلاً من أجل إنشاء العقد الاجتماعي والحكومة وبالتالي الحقوق القانونية في شكل الجمهورية الكلاسيكية.

من أمثلة العبارات التي تدل على القانون الطبيعي ما كُتب في ديباجة وثيقة الاستقلال الأمريكية (جميع البشر خلقوا متساوين، وأن خالقهم منحهم حقوقاً ثابتة لا يمكن التنازل عنها، منها ...)[١].

---

(١) وثيقة استقلال الولايات المتحدة الأمريكية لعام ١٧٧٦، يمكن تحميله من هنا:

كذلك في المادة الثانية من الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان والمواطن (الهدف من أي تجمع سياسي هو الحفاظ على الحقوق الطبيعية للإنسان التي لا تسقط بالتقادم، وهذه الحقوق هي ...)[١].

وجاء في الفقرة الأولى من إعلان فيينا لحقوق الإنسان بتاريخ ٢٥ يونيو ١٩٩٣م: "إن حقوق الإنسان والحريات الأساسية هي حقوق يكتسبها جميع البشر بالولادة، وإن حمايتها وتعزيزها هما المسؤولية الأولى الملقاة على عاتق الحكومات"[٢][٣].

نخلُص في هذه المقاربة الأولية إلى أن مفهوم الحق الطبيعي من المفاهيم المؤطرة لفلسفة حقوق الإنسان في الفكر الغربي في بعدها القانوني والفلسفي، وأنه يعتبر من المداخل الأولية لفهم تطور منظومة حقوق الإنسان في الفكر الغربي[٤].

https://object.cato.org/pubs/USConstitution-Declaration-Arabic.pdf

(١) إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي، ويمكن تحميله من هنا:
https://neorevivalism.files./05/wordpress.com/2016/d8a7d995 d8b9d984d8a7d986-d8add982d988d982-d8a7d984d8a7d995d986d8b3d8a7d986-d988d8a7d984d985d988d8a7d8b7d986-d8a7d984d8acd985d8b9d98a.pdf

(٢) يمكن تحميله من هنا: https://www.ohchr.org/Documents/Events/OHCHR20/VDPA_booklet_ar.pdf

(٣) هذه النقولات على مستوى الدساتير فقط، أما الممارسات فهي مختلفة كثيرة عن الدساتير، وسنبين بإذن الله ذلك في المقال الثاني.

(٤) في المقال الثاني سنتعرض لنقد هذه الأفكار وبيان مخالفتها للرؤية الإسلامية للحقوق.

(٢) فكرة العقد الاجتماعي:

العقد الاجتماعي هو عقد فعلي أو افتراضي انعقد بين السلطة (الدولة) وبين الأفراد (المواطنين) للإجابة على الأسئلة الفلسفية في: ما يبرر سلطة الدولة؟ ما هي الحدود المناسبة لسلطة الدولة؟ وما هي صلاحياتها بشكل عام أو ما يقيدها؟

يعتبر الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو هو الفيلسوف الأهم في تطوير فكرة العقد الاجتماعي، التي يمكن تلخيصها في أن الإنسان يولد حراً ومتمتعاً بكامل حقوقه، إلا أنه قد تتداخل هذه الحقوق ويظلم الناس بعضهم بعضاً، فلا بد حينئذ من وجود حكومات تنظم حياة الناس وتحمي الحقوق والحريات، وبالتالي يوافق كل شخص على تسليم بعض حقوقه وحرياته الموسعة أصلاً إلى سلطة مركزية، بشرط أن يقوم كل الناس بهذه الخطوة، وفي المقابل يتمتع بالحقوق والحريات الأساسية والمشاركة في السلطة مقابل تنازله عن حقوقه الكمالية والرفاهية لصالح السلطة أو الدولة[٥].

فنحن نرى في هذه الفكرة تتجذر مسألة الحق الطبيعي الذي لا يمكن التنازل عنه، والحق القانوني الذي يمكن التنازل عن بعضه لمصلحة الجماعة.

(٣) الحرية الفردية:

الحرية في الفكر الليبرالي هي الحق الأول وهي أصل كل حق: ليس من الصدفة أن ينص إعلان ١٧٨٩م حول (حقوق

(٥) راجع كتاب في العقد الاجتماعي ومبادئ القانون الطبيعي لجان جاك روسو طبعة مركز دراسات الوحدة العربية.

الإنسان والمواطن) على الحرية كحق أول للإنسان سابق على غيره من الحقوق.. فالإعلان العالمي لحقوق الإنسان، هو في العمق مدونة سياسية للحرية. بل إن الحقوق الأخرى هي - في النهاية - حريات. فمثلاً حق التملُّك، هو حرية التملُّك، وحق التعبير عن الرأي هو حرية التعبير عن الرأي. وهكذا.

والحرية هنا تُعلي من شأن الفرد على حساب باقي مكونات المجتمع، فإذا تعارضت حقوق الأسرة مع حق الفرد يقدم حق الفرد، مثل حق البنت البالغة في تكوين حياتها الخاصة وانفصالها عن الأسرة في مقابل وصاية الوالدين عليها، ومثل حق الوالدين في الرعاية بعد الكبر في مقابل حق تمتع الفرد في حياته الخاصة بعيداً عن أعباء الوالدين، وهكذا تقدم الحقوق الفردية في كل هذه الأحوال على غيرها.

كذلك الحرية الليبرالية تعلي من شأن الفرد في مقابل المجتمع، فمثلاً حق الفرد في التمتع بممتلكاته والتَّربُّح منها يقابله منع الربا والاحتكار وأمثال ذلك من أنواع استغلال حاجة الناس، فهنا تختار الحرية الليبرالية وتبعاً لها حقوق الإنسان حقوق الفرد على حقوق المجتمع.

الحرية في الفكر الليبرالي تُعلي من شأن الفرد على حساب باقي مكونات المجتمع، فإذا تعارضت حقوق الأسرة مع حق الفرد يقدم حق الفرد، مثل حق البنت البالغة في تكوين حياتها الخاصة وانفصالها عن الأسرة في مقابل وصاية الوالدين عليها، ومثل حق الوالدين في الرعاية بعد الكبر في مقابل حق تمتع الفرد في حياته الخاصة بعيداً عن أعباء الوالدين، وهكذا تقدم الحقوق الفردية في كل هذه الأحوال على غيرها.

نقد فكرة عالمية حقوق الإنسان:

قدر رأينا في سرد الأصول التاريخية لحقوق الإنسان أنها وليدة الأحداث السياسية والاجتماعية في العالم الغربي وما تمخض عنها من ثورات، فبالتالي هي تناسب وضع تلك الدول وثقافة تلك المجتمعات التي نشأت فيها، لكن مع القوة المادية والأيدلوجيا الإمبريالية للعالم الغربي ومحاولات فرض الثقافة الغربية الليبرالية على المجتمعات الأخرى باعتبار أن بقية المجتمعات متخلفة وجاهلة ولا تعي حقوقها وحرياتها تم تدويل حقوق الإنسان وعولمتها، وهذه المصادرة سببت ممانعات من المجتمعات الأخرى، وفكرة هذه الفقرة تقويض دعوى عالمية حقوق الإنسان وصلاحيتها للمجتمعات الأخرى، ونقض دعوى تجاوزها لخصوصية الثقافات الأخرى.

هذا الجدل حول العالمية والخصوصية لم يكن غائباً حتى عن أروقة الأمم المتحدة، ففي عام ١٩٨٩م دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة لتنظيم مؤتمر عالمي ثانٍ حول حقوق الإنسان يناقش مسألة العالميةً والخصوصية لمبادئ حقوق الإنسان من جهة، ومدى إلزامية مبادئ حقوق الإنسان. وعقدت ثلاثة مؤتمرات إقليمية في أقاليم العالم، حيث شهدت تونس في نوفمبر عام ١٩٩٢م مؤتمراً للدول الأفريقية، وعقد في سان خوزيه في يناير عام ١٩٩٣م مؤتمر بالنسبة لأميركا اللاتينية والكاريبي، وعقدت الدول الآسيوية مؤتمراً في بانكوك في مارس عام ١٩٩٣م، وعكست المؤتمرات الإقليمية تصورات متباينة تعكس اختلاف القيم الثقافية لكل جهة جيوسياسية وأولوياتها، فالدول الآسيوية في إعلان بانكوك في أبريل عام ١٩٩٣م ركزت على ما سُمي بالقيم الآسيوية، حيث نص على "حتى وإن اعترفت الدول الآسيوية بالطبيعة العالمية لحقوق الإنسان إلا أنه يجب تفسيرها في مجال حركي، وفي إطار عمليات غير مستقرة للتأسيس القيمي العالمي مع الأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات الوطنية والجهوية وكذا مختلف المعطيات التاريخية، الثقافية والدينية"، إلا أن نتائج المؤتمرات الإقليمية المطالبة بضرورة احترام الخصوصيات الثقافية والحضارية ورفض عالمية حقوق الإنسان المستندة في الأساس لتفوق القيم الغربية على قيم الحضارات الأخرى، جوبهت بمعارضة غربية شديدة، مما انعكس في نتائج مؤتمر فيينا لعام ١٩٩٣م الذي أكد على عالمية قيم حقوق الإنسان والتكامل وعدم التجزئة بين حقوق الإنسان[١].

كذلك مما يبين الخلاف الغربي حول عالمية حقوق الإنسان ذلك النقد الذي قدمه ماركس لوثيقة الثورة الفرنسية (إعلان حقوق الإنسان والمواطن) وذلك في كتابه حول المسألة اليهودية، حيث يقول: "ثبت قبل كل شيء أن ما يسمى بحقوق الإنسان، وهي خلاف حقوق المواطن، ليست سوى حقوق أعضاء المجتمع البورجوازي، هذا يعني الإنسان الأناني، الإنسان المنفصل عن الناس وعن المجموع"[٢].

---

(١) من مقال لعائشة المري في صحيفة الاتحاد الإماراتية بتاريخ ٣ مارس ٢٠١٣م.

(٢) بواسطة مقال لعلي عامر في موقع أصدقاء الجدل الهيجلي، بعنوان نقد ماركس لمفهوم حقوق الإنسان، بتاريخ ١٤ مايو ٢٠١٦م.

مما يبين الخلاف الغربي حول عالمية حقوق الإنسان ذلك النقد الذي قدمه ماركس لوثيقة الثورة الفرنسية (إعلان حقوق الإنسان والمواطن) وذلك في كتابه حول المسألة اليهودية، حيث يقول: ثبت قبل كل شيء أن ما يسمى بحقوق الإنسان، وهي خلاف حقوق المواطن، ليست سوى حقوق أعضاء المجتمع البورجوازي، هذا يعني الإنسان الأناني، الإنسان المنفصل عن الناس وعن المجموع.

وذلك أن الفكر الشيوعي لا يرى وجوداً للإنسان المجرد، وإنما الإنسان يوجد في طبقة مجتمعية معينة، وبالتالي إن أردت صياغة حقوق إنسان على الطريقة الشيوعية فهي حقوق المجتمع، أي أن الفرد سيتنازل عن بعض مكتسباته ومطالبه لصالح المجتمع.

والشيوعيون إذ يرفضون حقوق الإنسان في إطارها الغربي يؤكدون أنها تخدم مصالح فئة اجتماعية محددة وهي الطبقة البرجوازية، لأنه وطبقاً للفكر الشيوعي كل الأفكار التي تولد في المجتمعات هو وليدة الصراع الطبقي فهي تخدم طبقة معينة وتحاول تركيع الطبقة الأخرى لها.

ولا يعني هذا أننا نمدح التصور الشيوعي لحقوق الإنسان أو نرتضيه، ولكنا فقط أردنا التنبيه على أن حقوق الإنسان في صيغتها الغربية ليست إجماعاً إنسانياً شذ عنه المسلمون كما يروج العلمانيون العرب، بل هي مسألة مختلف فيها بين الثقافات الغربية المختلفة، ومن حقنا نحن المسلمون أن يكون لنا رأينا وفاقاً أو اختلافاً مع هذه الحقوق.

في المقال القادم إن شاء الله نتحدث عن أهم الانتقادات التي يوجهها المسلمون لمفهوم حقوق الإنسان الغربي.

فيض الربيع وغيض الشتاء

د. حسن بن مسعود بن خليفة
ناشط وباحث في قضايا المجتمع الأهلي بتونس
nfsines@gmail.com

لما كتب الباحث المغربي في علم الاجتماع مهدي المنجرة (١٩٣٣-٢٠١٤م) في تسعينات القرن الماضي عن الغرب المتغطرس قال عبارته الشهيرة: "إن فضاءه الزمني والتاريخي محدود"[١]؛ لِمَا رأى فيه من ظلم وغطرسة واضطهاد للشعوب، وكان قد حذّر من كوارث وانفجارات قادمة لم يكن ليُقَدِّرَ سرعة سيرها بل كان يعتقد أنها واقعة لا محالة حين قال: "أنا أعتقد أن العالَم يعيش حالة انفجار"[٢]، وقد رأى أن الوضع بلغ مبَالِغ خطيرة فقال: "فالانتفاضة انفجار يحدث حين يبلغ السيل الزبى"[٣]، ثم واصل قائلاً: "ثمة ظلم هائل في العالم، ومن اللّازم إيجاد الحلول كي يكون كل النّاس رابحين وكي لا يكون هناك خاسر"[٤].

إن هذا الوصف الدقيق لوضع الظلم والاستبداد والاستكبار الدولي وهذا التحذير المرن من قبل مهدي المنجرة غفل عنه المثقفون العرب، في حين تفطن له الغرب بعيونه اليقظة التي تتابع كل شيء فوصفه وزير الخارجية الفرنسي الأسبق ميشال جوبير بأنه: "المنذر بآلام العالم"[٥].

(١) المهدي المنجرة: الإهانة في عهد الميغا - إمبريالية/ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٧، ط ٥.
(٢) السابق.
(٣) السابق.
(٤) السابق.
(٥) من مقال: المفكر الصنديد وعدو الإمبريالية في المغرب، عبد الصمد حاجي.

وقد ذكره المفكر الأمريكي صامويل هنتنجتون في كتابه (صدام الحضارات) عند وضع اللبنات الأساسية لبناء أطروحته[1].

غير أن المنجرة لم يطرح ما كان يراه من الزوايا العدائية التحريضية والدفع نحو الحروب الاستئصالية كما فعل هنتنجتون، بل كان يُنبِّهُ ويحذر ويناضل من أجل ترسيخ قيم العدالة والحرية والاستقلال الثقافي للشعوب المقهورة، ونبذ الكراهية والظلم والاستكبار الدولي.

وبعد سبعة أعوام من الانفجار الذي حذّر منه المنجرة وأعني اندلاع الثورة التونسية التي أسّست لانتقال سريع ومباغت للعديد من الدول المجاورة لتَوَفُّر نفس العوامل والمسببات في كل من ليبيا ومصر وسوريا واليمن، ولم يكن ليوقفها شيء لتنتقل لكل الدول العربية لولا المواجهة العنيفة والحادة من قبل ذلك التحالف غير المعلن بين قوى الاستكبار المحلية والدولية، أو ما يُعرف بقوى الثورة المضادة، وهي التي أيقنت أن فضاءها الزمني والتاريخي قد أصبح مهدداً بحق.

وبولادة هذا الربيع الجديد من الثورات أيقنت تلك القوى أن توازنات دولية أخرى بدأت تتشكل لترسم خرائط مغايرة في السياسة والاقتصاد، ولتعيد الكرامة المنهوبة وتحرّر المظلومين من قيود الاستعباد الذي مورس تحت مسمّيات الإنسانية أحياناً، والديمقراطية ومكافحة الإرهاب أحياناً أخرى، وغيرها من الشّمّاعات.

وحين تبدّدت وسائلهم المستهلَكة أمام تنامي الوعي المرافق لهذه الثورات التي خلطت كل شيء وأعادت بعفويتها ترتيب الكثير من المشاهد الدولية حتى تبع ذلك إرهاصات أمنية وسياسية واجتماعية غير تقليدية.

بعد ثورات الربيع العربي تم العمل على تسخير كل شيء لعودة نظم الاستبداد، لتقوم بتأمين مصالحها ومصالح قوى المال والأعمال المتنفذة فيها، وضرب طموحات هذه الشعوب الثائرة الطامحة لنيل الحرية والكرامة.

فكان لا بد من تحرك عاجل يعيد رسم علاقات الدول الغربية ببقية الأنظمة الحاكمة التي أرعبها المشهد وباتت تنتظر انطلاق شعوبها للتحرر من جبروتها واستبدادها.

وتم العمل على تسخير كل شيء لعودة نظم الاستبداد، لتقوم بتأمين مصالحها ومصالح قوى المال والأعمال المتنفذة فيها، وضرب طموحات هذه الشعوب الثائرة الطامحة لنيل الحرية والكرامة.

(١) من مقال: الدراسات المستقبلية... ضرورة استراتيجية عربية، لضياء الكعبي..

وقد أدرك الكاتب الأمريكي هنري واكوسيان، مع بدايات الثورات العربية شيئا غير مريح سينتكس بهذه الثورات ويعيدها إلى دوائر الاستبداد فاستدل بقول شاعر بولندي الذي قال: "عندما تقفز من الفرح، كن حذراً من أن الأرض لن تتحرك تحت نعليك"[1].

وبالفعل تم على عجل استباحة تلك الشعوب في دمائها وأعراضها وأمنها ببشاعة ووحشية، وعايش العالَم أحداثاً دامية ومؤسفة، بقصد كبح جماح الثائرين وإجهاض حركتهم نحو التحرر، على الرغم من أنهم نادوا بشعارات أممية قاموا بإبداعها بأساليب مبهرة، فيها مناهضة للقهر والظلم والاستبداد، صنعت ثقافة للاحتجاج السلمي تلقفته كل شعوب العالم في تحركاتها ومظاهراتها المختلفة.

والمشهد الظاهر اليوم يرجح انتصار الثورة المضادة وانتكاس انتفاضة الربيع، وقصورها عن تحقيق التغيير وذلك لعدة أسباب منها:

ـ التدخل الصفوي الشرس في سوريا واليمن لحماية مشروع الهلال الشيعي الإيراني والتصفية المبكرة لأي مشروع سني من وراء الثورات العربية.

ـ تدمير المدن في كل من سوريا واليمن وتقتيل أهلها وتهجيرهم بعد الاستقواء بالدب الروسي.

ـ الانقلاب الدموي الحاد في مصر وإعادة منظومة الفساد والاستبداد بالحديد والنار.

(١) مقال: الثورات العربية بعيون ١٧ مثقفا أميركيا نشر بجريدة الشرق الأوسط العدد ١١٨٠٠.

ـ ضرب الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي في تونس.

ـ التدخل في الشأن الليبي وتأجيج الأوضاع وضرب الحكومة المركزية عقاباً لرجال الثورة ممن تمرد عن الطوق والهيمنة الدولية.

ـ طغيان المال الفاسد وتوجيه السياسة لمزيد من القمع وكتم الأنفاس.

ولم تكن لتتحقق هذه الانتكاسة بعد ذلك الزخم الثوري الكبير لولا الاستنفار الكامل لما عرف بانتفاضة الدولة العميقة ورجال الثورة المضادة وما قاموا به من استباحة لكل شيء من أجل إعادة الأوضاع تحت سيطرتهم، حتى أعادوا الأنظمة الاستبدادية بنفس أشكالها القديمة، فكان القتل والتهجير الجماعي وتدمير البنى التحتية والقمع والتنكيل والانقلاب والاحتواء والإغراء، وسط صمت عالمي مؤيد وداعم لكل هذه الجرائم والكوارث، وسط إرباك وتشغيب إعلامي محلي ودولي استهدف القيم والثوابت وكل خصوصيات الشعوب الثقافية والحضارية.

وقد تنبأ بهذه الانتكاسة والانقلاب الصحفي الأمريكي ديفيد أوتاواي في مقال نُشِرَ بجريدة: (الواشنطن بوست) قال فيه: "في حين يناضل الوطنيون العرب الشجعان لانتزاع السيطرة على حياتهم، يمكن أن يفشلوا، لأن نجاحهم سيعتمد على إنهاء الصراع العربي الإسرائيلي، وعلى قدرة الجيل القادم من القادة العرب والإسرائيليين على التصرف بحكمة وسرعة".

استبيحت الشعوب العربية في دمائها وأعراضها وأمنها ببشاعة ووحشية، وعايش العالَم أحداثاً دامية ومؤسفة، بقصد كبح جماح الثائرين وإجهاض حركتهم نحو التحرر، على الرغم من أنهم نادوا بشعارات أممية قاموا بإبداعها بأساليب مبهرة، فيها مناهضة للقهر والظلم والاستبداد...

وكما يظهر للقارئ صراحة هذا الكاتب في الإشارة لذكر التخوف الغربي على مصير الاحتلال الصهيوني بسبب هذه الثورات وتحذيره من إفشال الغرب لها، إلا أنه لم يتحرر بعباراته من الانحياز والتعاطف مع الاحتلال الصهيوني في المنطقة، وهذا ما يؤكد أن ثورات الربيع كانت تُعبِّد طريقاً نحو القدس، لم يُطِقْهُ الصهاينة ولا عملاؤهم في المنطقة.

الثورات الشعبية اتسمت بالعفوية والفوضى وغياب الرؤية وتشتت القيادة فلم يتحقق المشروع التغييري الذي كان الناس ينتظرونه وأقاموا الثورة من أجله.

ومن الجهة الأخرى نلاحظ بموضوعية أن تلك الثورات الشعبية اتسمت بالعفوية والفوضى وغياب الرؤية وتشتت القيادة فلم يتحقق المشروع التغييري الذي كان الناس ينتظرونه وأقاموا الثورة من أجله.

وإننا نقف اليوم بعد هذه السنوات من الصراع متأملين هذا المسار ليتضح لكل مراقب أن الصفة الثابتة لقوى الباطل هي سرعة الزهوق وذهاب الريح مهما ملكت من قوة وتمكُّنٍ من مفاصل البلاد واسترقاق العباد.

لكن نقول إن ذلك لا يتحقق إلا بالشرط الذي بَّينه الخالق سبحانه وهو ظهور الحق بخصائصه الكاملة، وأولها رجوع الناس إلى ربهم وتغييرهم لما بأنفسهم، ثم أخذهم بالأسباب المادية مع تحقق شروطها وانتفاء موانعها، وهذا ما أراد الله تعالى أن يغرسه عقيدةً في قلوب المؤمنين من خلال قوله: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾[1].

كما اتضح أنّ النقلة النوعية والهائلة في الوعي عند الشعوب بإدراك طبيعة المعركة وبُعدِها الاستعماري الشامل قد فعلت فعلها في النفوس ومن الصّعب قمعها أو إخماد مطالبها.

(١) سورة الإسراء: ٨١.

كما أنه تَحقُّق التمايز بين الناس وانكشف رجال الاستعمار في كل المواقع السياسية والثقافية والإعلامية.

ومن المهم أيضاً ظهور مكامن الضعف لدى القوى الثائرة بما يتيح الفرصة لانطلاقات أخرى أكثر دقة وأكمل للنواقص.

ولا ننسى أنه تم اكتساب خبرة كافية في إدارة الصّراع وتسيير الجموع الثائرة لتحقيق الأهداف وتفويتها عن الخصوم.

وبما أننا نؤمن أن التدافع والمغالبة سنة كونية والأيام دول بين الناس، فإن هذا الحراك المجتمعي والانتفاضات الكبيرة قد انطلقت ولم تحقق مرادها وكل دواعي استمرارها لا يزال قائماً ولا شك أنه سيكون لها هزات وارتدادات، لذلك وجب الاستعداد لترشيدها وتوجيه المظلومين إلى تحقيق أهدافهم بأقل خسائر مادية وبشرية وبات من الواجب التقارب والتشاور بين العقلاء من قادة الثورة ورسم الخطط والاستعداد قبل المباغتة.

ومن الواجبات المهمة أن تقوم نخبة من المثقفين برصد الأحداث السابقة وتدوينها وتحليلها للاستفادة منها مستقبلاً..

كما أنه من المهم التركيز على سد جوانب النقص والخلل والشغور كالعناية بالإعلام ومختلف مواقع التأثير.

ومن المهم أيضاً الاطلاع على الثورات الناجحة في التاريخ ودراستها والاقتباس منها.

ولا شك أن العمل على حفظ الأمن المجتمعي وسلامة البلدان من أخطار القوى المضادة ومن سار في فلكهم وتحريض عموم المسلمين على التوبة ولزوم الاستقامة والرجوع إلى الله والتضرع إليه من أهم المهمات الجالبة للنصر والتمكين.

من المهم التركيز والعناية على وضع أسس عقدية ومرجعيات فكرية، وبناء رؤية صائبة لمسارات الثورة، والعمل على إيجاد تعاون مؤسسي راشد، وقيادة حكيمة هو مفتاح النجاح والوصول بالتغيير إلى مبتغاه المنشود.

ويبقى التركيز والعناية على وضع أسس عقدية ومرجعيات فكرية، وبناء رؤية صائبة لمسارات الثورة، والعمل على إيجاد تعاون مؤسسي راشد، وقيادة حكيمة هو مفتاح النجاح والوصول بالتغيير إلى مبتغاه المنشود.

ويبقى السؤال الكبير مطروحاً: هل ستنهض الشعوب لاسترداد ثوراتها المنهوبة وتسمو نحو العزة والكرامة والتحرر بالتوكل على الله ثم في حسن اختيار قادة مؤمنين تفرزهم الشعوب يؤسسون للتغيير الجذري ببديل عن هذه الأنظمة الموغلة في الاستبداد واستبدالها كليةً بدول حديثة مستقلة ذات سيادة وكرامة ودين؟

خصوم الأمة وأعداؤها

د. محمد يسري إبراهيم

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على من لا نبي بعده، وبعد..

فإن الأمة المسلمة اليوم تواجهها مشاريعُ عدائيةٌ متعددةٌ بتعدد الباطل، ومتلونةٌ بتلون صوره وأشكاله! وبالجملة فإن كل من يقف حجر عثرة دون أن تنهض هذه الأمة على أساس من عقيدتها الواحدة، ووحدتها الجامعة؛ فإنما يقف في صف أعدائها!

ويمكننا أن نحصي عدداً من أعدائها الماديين أصحاب المشاريع الكلية المتناقضة، والمناهضة للانبعاث الحضاري لهذه الأمة، كما يمكن عدُّ تحديات أخرى بتجليات فكرية ومعنوية، وإدراك تلك التحديات جميعاً من الأهمية بمكان، غير أن أهم تلك المشاريع المناهضة للأمة ما يلي:

(١) المشروع الصهيوني:

ذلك المشروع يعتبر أكبر تلك التحديات الخارجية للأمة المسلمة، فهو يحمل في طياته العداء الديني والسياسي والحضاري على حد سواء!

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾[1]، وتلك عداوة ضاربة في شعاب الزمن، وهي إلى يوم الناس هذا، بل وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها!

ولتلك العداوة الدينية شق سياسي، يتمثل في اغتصاب الأرض المقدسة، واحتلال فلسطين، وتهجير كثير من أهلها، وتوسع استيطاني على أرضها، مع امتدادات استعمارية في الجولان السوري والجنوب اللبناني، والخارطة التوسعية من النيل إلى الفرات لا تزال حلماً يسعى الصهاينة إلى تحقيقه!

(١) سورة المائدة: ٨٢.

ولقد تمكَّن هذا المشروع في السنوات الماضية من تحقيق تفوق عسكري، وصناعي تقني، وعلمي بحثي، يدعم المشروع بأسره، ويقوي الجانب السياسي الذي لم يعد يستخفي اليوم بتركيع ما حوله من الأنظمة السياسية العربية، والتدخل في إدارتها، وتملُّك ناصية القرار السيادي فيها، مع الإعلان الرسمي بالتطبيع، والقبول بالقدس عاصمة يهودية عبر سياسة فرض الأمر الواقع.

(٢) المشروع الصليبي:

وهو مشروع قديم قِدَمَ تلك الحروب الصليبية التي امتدت لقرنين من الزمان، والتي تعددت صورها وتعاقبت أشكالها العسكرية، حتى قوَّضت الدولة العثمانية، واقتسمت أرضها الإسلامية، ثم لم تتمكن من الاستقرار طويلاً، فاتخذت شكلاً جديداً للاحتلال السياسي للقرارات، والاستعمار الفكري للعقول، والتبعية الاقتصادية والتقنية للشرق بأسره!

وقد مهَّد لذلك شخصيات متغربة الثقافة، وتيارات أدبية إلحادية وافدة على الحضارة العربية والإسلامية!

وتظاهَرَ المشروعُ الصهيونيُّ مع الصليبيِّ بشكل سافرٍ في اغتصاب فلسطين، وفي وأد حركات التحرر والمقاومة، وأخيراً في تطويق الربيع العربي الثائر على الطغيان الموالي لأعداء الأمة.

(٣) المشروع العلماني:

إن المشروع العلماني هو ربيب المشروعَيْن الصهيوني والصليبي، وهو ما جرت صناعته ليخلف الاستعمار الغربي في بلاد الشرق، حاكماً عليها، موالياً لأعدائها، متبرئاً - في الأغلب - من عقيدتها وشريعتها، مغترباً - بالجملة- عن ثقافتها وحضارتها!

وتتعدد صور هذا المشروع وتجلياته؛ ففي الجوانب السياسية هو استبدادي ديكتاتوري محارب للشريعة، وفي الجوانب الفكرية هو قومي أو ليبرالي، أو هما معاً،

يعلي من نظرية السيادة للشعب قانونيّاً، ولا ينصاع لها إذا خالفت مصالح الغرب، ويعتنق الديموقراطية، ويكفر بها إذا أتت بخصوم المشروع الصهيوصليبي في الأمة الإسلامية!

بل وينوب عنه في التصدي لكل مشروع إسلامي في الشرق، في كل مجال سياسي أو اقتصادي أو ثقافي، بحيث يصبح الشرق بلا هوية ولا مشروع جامع، قابعاً تحت خط الفقر والتخلف والمرض والتبعية والعجز المطلق! محروماً من كل حقوق الإنسان إلا التصفيق للطغيان! ومماألأة صنائع الفساد والاستبداد!

وهو مشروع يعتني كل العناية بالترويج للإلحاد، والتسويق للشبهات، والتأجيج للشهوات والرذيلة، والتنفير من الطهر والفضيلة، ومحاربة الأمة في مناهجها التعليمية، ومنابرها الإعلامية.

(٤) المشروع الصفوي:

وهو مشروع ديني سياسي أيضاً، يجتمع مع المشاريع الثلاثة، متعاوناً معها متى كان الخصم سُنيّاً، فإن لم يكن كذلك كانت له مواقفه المستقلة!

وهو مشروع يتمدد بقوة داخل الديار السُّنِّية، من إندونيسيا إلى موريتانيا، ويزعم اليوم إحكام قبضته على العراق وسوريا واليمن ولبنان! ويفاخر بحضوره المؤثر في معظم دول الخليج العربي!

ويتشدق بأنه ورث تركة تلك الدول في إفريقيا، وصنع له أتباعاً هم بمثابة وقود وذخيرة حروبه المقبلة مع السُّنَّة في ديارهم!

وقد اشترى له أبواقاً من الجهلة والمأفونين في بلاد السنة؛ ليفتحوا له أبواب الاختراق والتشييع، والتثوير لأهلها على السنة وأهلها!

وهو ساعٍ في ذات الوقت في اختراق كل مشروع إسلامي مقاوم، عبر دعمٍ سخيٍّ يفتح باب ضلالة وغيٍّ.

> **للمشروع الصفوي له أبواق من الجهلة والمأفونين في بلاد السنة؛ ليفتحوا له أبواب الاختراق والتشييع، والتثوير لأهلها على السنة وأهلها!**

(٥) المشروع التفكيكي:

وهو مشروع يتمالأ عليه أصحاب المشاريع الأربعة السابقة، ويستعملون فيه فرق الغلاة والجفاة على حد سواء! وغايته تفكيك المفكك، وتجزيء المجزأ، وإضعاف اللحمة بين طوائف وفئات الأمة.

فالغلاة في التيار الجهادي يُستعملون من قِبل أصحاب المشاريع الأربعة جميعاً، للقضاء على الجهاد السني!

وقد حصل هذا بجلاء في العراق وسوريا وغيرها، بحيث تخضد شوكة الجهاد السني وأهله، ويتفرق جمعهم.

والغلاة في التيار السلفي الدخيل يُستعملون من قِبل أصحاب تلك المشاريع للقضاء على التيار السلفي الأصيل،

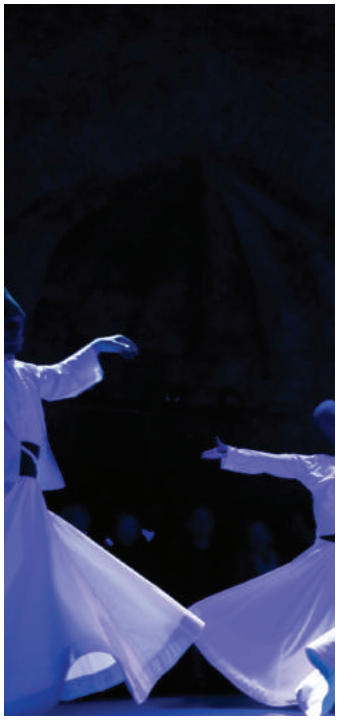

بتبديع رجالاته، وتشويه رموزه، ورميهم بالتكفير تارة وبالتمييع أخرى! ووصمهم بكل نقيصة تفضُّ الناس عنهم!

وقد تُوظَّف فرق وطوائف اعتزالية، وأخرى صوفية طُرُقية غالية في هذا الصراع التفكيكي لتعميق الفجوات، وتوسيع دائرة الخلافات، وإحياء ما اندثر من التيارات - على نحو ما لوحظ في مؤتمر جروزني بالشيشان ٢٠١٦م -؛ ليعود التدين في الشرق الأوسط عقلانياً فلسفياً، أو طرقياً خرافياً!

وقد تُستدعى الإثنيات والعرقيات في البلد الواحد، وتثار قضايا القوميات لمزيد من تقطيع الأواصر، وتمزيق المزق، وتجزيء المجزأ!

وقد تُزرع بذور الفُرقة بين طوائف دعاة أهل السنة، عبر أفكار خاطئة حول الجماعة ولزومها، والوحدة وأصولها، وعبر التنافس العملي في أرض الدعوة، بحيث يتحول التنوع إلى محنة وفتنة، لا منحة وعصمة!

(٦) المشروع الباطني:

وهذا المشروع أخطر تلك المشاريع على الدين؛ لأن غايته تبديل الدين الحق، وتغيير عقيدة المسلمين، وذلك بتبني فرق الباطنية تارة، والفلسفات الإلحادية تارة أخرى، والترويج لديانة موحَّدة تحت شعار الدين الإبراهيمي أو دين الحب والسلام، وهذه خلاصة ما ينادى إليه من وحدة الأديان!

وفي هذا المشروع تُغيَّب الشرائع، وتُسقَط التكاليف، وتذوب الحواجز بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والحلال والحرام، ويتوسل بعقيدة الحلول والاتحاد، ويستعان بغلاة أهل البدع ورؤوس الضلالة العالمين، وتنفق في بناء مؤسسات مشبوهة الملايين!

والدعم العالمي الهائل الذي لقيته فرق النصيرية والإسماعيلية والدرزية واليزيدية - وما تزال - ما هو إلا بعض دلائل الحرص على ذلك المشروع، وأما النشاط الذي يصنع لترويجها في مؤتمرات دولية وإقليمية، وفعاليات متعددة في قلب

العالم العربي والإسلامي؛ فحدث عنه ولا حرج!

وهذا المشروع ليس بغائب ولا بعيد الصلة بالمشاريع السابقة، بل هو في مركز الاهتمام وبؤرة الانسجام.

إذا أدرك أهل السنة خطورة تلك المشاريع جميعاً، واجتماعها على حرب السنة، فإن البحث في السبل المشروعة لاستبانة سبل المجرمين، وحماية أهل الإسلام من كيد المبطلين من أعظم الواجبات في هذا الزمان، وكما أن العلم بالخير سبب إلى فعله، فإن العلم بالشر سبب إلى منعه.

وإذا أدرك أهل السنة خطورة تلك المشاريع جميعاً، واجتماعها على حرب السنة، فإن البحث في السبل المشروعة لاستبانة سبل المجرمين، وحماية أهل الإسلام من كيد المبطلين من أعظم الواجبات في هذا الزمان، وكما أن العلم بالخير سبب إلى فعله، فإن العلم بالشر سبب إلى منعه.

وامتلاك أهل السنة لرؤية صحيحة واضحة عن الأمة - بمجتمعاتها ومشكلاتها وتحدياتها - يُمهِّد السبيل لتحديد وسائل علاجها دون فوضى أو تخبُّط، ويُمكِّن أهل القرار من اتخاذه في الوقت المناسب، وبالأسلوب المناسب.

ومن لم يعرف الواقعَ في الخَلْق والواجبَ في الحق لم يعرف أحكام الله عَزَّوَجَلَّ في عباده، ومن الخطأ البيِّن الاستعاضة عن طلب هذا الوعي بأي أمر آخر، ولو كان صَدَقَ البذل والتضحية؛ لأن البذل لا ينتج ثمرته ولا يعطي نتيجته إلا لو استوفى شروط إنتاجه، وانتفت موانعه.

وأخيراً فإن هذا الإدراك يمنع من تكرار الأخطاء في ساحة العمل لدين الله، والأصل أنه ((لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ))[1].

وستبقى الأمة بقيادة أهل السنة مرابطة على ثغور الدين الحق، قائمة بأمر الله، ومراغمة لأعدائه، وهي بانتظار قيام المشروع العالمي لأهل السنة؛ ليأخذ مكانه في هداية البشرية وإبطال كيد الكائدين.

فاللهم هب أمة حبيبك صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بصيرةً تهديها، وقوةً على إقامة دينك لا تطغيها، واخذل اللهم كل من رام اجتيالها عن سبيلك، أو حرفها عن جادَّة دينك؛ إنك يا ربنا نعم المولى ونعم النصير. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

جدلية الديني والسياسي بعد الربيع العربي

د. أنور الخضري
باحث وكاتب يمني

قبل قُرونٍ من الآن، وأثناء الثورة الفرنسية وبعدها، شَهِدَت أوربا جدلاً فكريّاً ودينيّاً استمرَّ لعقُودٍ حول علاقة الدِّين بالسياسة والسياسة بالدِّين. وفي ظلِّ معطياتٍ تاريخيةٍ لواقع الكنيسة ودور رجالِ الدِّين النصراني في حياةِ الناس نشأت العلمانية كنظريةٍ فكريةٍ تحسم العلاقة بين الدِّين والسياسة، لتنصَّ على أنَّ السياسة ميدانٌ لا يخضع للدِّين، وعلى أنَّ الدِّين تعبيرٌ خاصٌ عن علاقة الفرد مع عالم الغيب لا صِلةَ له بالسياسة.

ومع قيام الدُّولِ العلمانية في العالم الإسلامي والعربي نتيجة سقوط الخلافة العثمانية وتغييبِ الخطاب الدِّيني عن المشهد السياسي؛ نشأ الجدل عن علاقة الدين بالسياسة كأحَدِ أهمِّ المعارك الفكرية التي فرضتها عوامل داخلية واستجلاب خارجي. وكان الجدل - في حينه - يقوم بين طرفين: الأوَّل يريدُ أن يحافظ على موقع الدين وهيمنته على السياسة انطلاقاً مِن التأصيل الشرعي، والثاني يريد استحداث تجربة جديدة على غرار ما جرى في أوربا عقب الثورة الفرنسية.

اليوم، وعقب عودة الحضور الشعبي في بلدان الربيع العربي للمشهد السياسي وسعي عدَّةِ حركات إسلامية للمشاركة في الشأن العام عبر أحزاب وتنظيمات سياسية أصبحت هذه الجدلية حاضرة بقوة؛ لكنها هذه المرَّة في إطار الحوار (الإسلامي- الإسلامي)! وأحياناً تأخذُ طابع (الدَّعوي والسياسي)!

فالواقع الذي تشارك فيه الأحزاب والتنظيمات السياسية واقعٌ مُعقَّدٌ، وغيرُ خاضِعٍ للشريعة الإسلامية بالمطلق، وتكتنِفه ضروراتٌ وترجيحاتٌ بين مصالح ومفاسد وبين مفاسد وأخرى مِثلِها؛ وهذا بدوره يتطلَّبُ نوعاً مِن التَّنزُّلَ، وأسلوباً مِن التعامل يختلفُ عن البيئة الاجتماعية والسياسية التي تهيمن عليها الشريعة بإجماعٍ شعبيٍّ. ولهذا فقد يتميَّزُ الموقف والخطاب السياسي عن الموقف والخطاب الدعويِّ بالضرورة، لأنَّ هذه الأحزاب تعمل وفق سقفٍ منخفضٍ، فيما تعمل الحركات والجماعات الإسلامية تحت مظلَّةِ الشريعة وما تفرضه مِن وضوح وبيان.

نتيجة للإقصاء المتعَمَّد الذي مارسه الحُكَّام، أو التغيُّبِ الذي ركن إليه العلماء، أصبحت أنوار الدين خافتةً في ظلام دهاليز السياسة الدنيوية؛ حتى بات الناس لا يتصورون صلاحَ العالِم للسلطةِ والحكم، ولا يجدون حاكماً متحليّاً بالعلم والفقه والصلاح؛ فحُصِر الدِّين في شئون الخاصة، وضُيِّقَ في شئون العامة، وأصبح خادماً للسلطان وحاشيته!

وعلى الرغم مِن محاولة الهروب التي يتعمَّدها البعض – قصداً أو مِن غير قصد – لتبرير هذا الجدل الدائر في الأوساط الإسلامية، وتوصيفه للخلاف بكونه تمييزٌ لمنطقة ومنطق: الجماعة والحزب، أو العالم والسياسي، أو الواجب والممكن، إلَّا أنَّ هذا التوصيف تسطيحٌ للمسألةِ وهروبٌ مِن لوازمها ومتطلباتها العلمية والفكرية والحركية.

إنَّ مشكلة الوعي الإسلامي بدور الحاكم والعالم أنه تأثَّر بحالة الانفصام التي شهدها التغيُّرُ الوظيفيُّ في طبيعة القائم بالحكم والمتولي للسُّلطة عَقِبَ غيابِ الخلافة الراشدة، وتغَلُّبِ مَن لا تتوفر فيه شروط الولايةِ مِن ديانة وصلاحٍ وفقهٍ وقُدرَةٍ على الاجتهاد والاستنباط على مقاليد الحكم، وانزواءِ دورِ العلماء في مجال الاستشارة والفتيا والقضاء والحسبة بعيداً عن الحكم والإمامة المطلقة؛ حتى أصبح الحُكَّامُ أعلمَ بإدارة الدولة وممارسة السلطة، في حين اعتكف كثيرٍ مِن العلماء على الكتب والتراث والدرس والمسجد وخاصته ومريديه!

ونتيجة للإقصاء المتعَمَّد الذي مارسه الحُكَّام، أو التغيُّبِ الذي ركن إليه العلماء، أصبحت أنوار الدين خافتةً في ظلام دهاليز السياسة الدنيوية؛ حتى بات الناس لا يتصورون صلاحَ العالِم للسلطةِ والحكم، ولا يجدون حاكماً متحليّاً بالعلم والفقه والصلاح؛ فحُصِر الدِّين في شئون الخاصة، وضُيِّقَ في شئون العامة، وأصبح خادماً للسلطان وحاشيته!

هذا إذا أهملنا دور عددٍ مِن المعتقدات البدعية التي شوَّهت جمال الإسلام

ومحاسن شرعته ونظامه السياسي، سواء بادعاءِ العصمة في سلالة عائلية، وتنزيل الحاكم فيها منزلة النبي أو أعظم! أو بنقل الدِّين إلى الأربطة والمزارات والموالد ومجالس الذكر، وترك الحُكَّام يفعلون ما يشاؤون تسليماً بالقضاء ورضىً بالقدر!

وإذا أهملنا أيضاً، الدور الخبيث الذي قام ويقوم به البعض لصالح تطويع الدِّين للحكام المستبدين والملوك الجبابرة، وإن لم يبتدعوا في عقائد الدِّين وأحكام الشريعة، لكنهم يُنزِّلون بعضَ النصوص ويتعسَّفون تأويلها على واقع هؤلاء الظلمة والفسدة!

وعلى الرغم مِن بروز عددٍ مِن المصلحين الذين جمعوا بين دَورِ العالم الرباني والقائد السياسي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، إلَّا أنَّ هذه النماذج لم يكتب لها إتمام مسيرتها، ووُئِدت وشُوِّهت مِن خلال هجومٍ فكريٍّ وخطاب ينتسب للشرع استهدفها واستهدف رؤاها الفكرية والسياسية. وأصبح الكثير مِن العلماء يركنون إلى المواقع التي تتَاحُ لهم رسميّاً، أو في زوايا العلم والتربية وحِلقِ الذكر ومنابر الدعوة، مقتنعين بأنَّ "السياسة نجاسة"! وأن بُعد العالِم عن السياسة أزكى لدينه وفقهه وأمانته.

ولأنَّ كثيراً مِن الحركات الإسلامية - في المقابل- لم تؤهِّل طلبة العلم والعلماء لممارسة السياسة واقعاً وحضوراً، وإن دفعت بالبعض مِنهم لهذا الميدان أحياناً دون تأهيل، فقد أوجدت لدى قطاع كبيرٍ مِنهم قناعة بأنَّهم ليسوا أهل السياسة ولا رجالها؛ وصار يُنظرُ للناشطين في هذا الشأن بأنَّهم الأجدر لخوضه وممارسته. لهذا تجد أحياناً في بعض الحركات الإسلامية الكبرى فصاماً نكِداً بين تيارين: الأول سياسي منفتحٌ ومُقدِم، والآخر علميٌّ شرعيٌّ مُنغَلِقٌ ومُحجِم!

كثير من العلماء والمصلحين يرى أنَّه لا يمكن أن يتقدم للسياسة في وضعها الحالي، وأنَّه لخوض مضمارها ينبغي أولاً إعادة الوضع إلى ما كان عليه زمن النبوة والخلافة الراشدة!

جزءٌ آخر مِن المشكلة يكمُن في أنَّ كثيراً مِن العلماء والمصلحين يرى أنَّه لا يمكن أن يتقدم للسياسة في وضعها الحالي، وأنَّه لخوض مضمارها ينبغي أولاً إعادة الوضع إلى ما كان عليه زمن النبوة والخلافة الراشدة! فهو يطلب ابتداء الصورة المثالية التي ينبغي أن تكون عليها السياسة ليمارسها! في حين أنَّ السؤال الذي يطرح: فمَن المعنيُّ بإعادة السياسة بصورتها الراهنة وما فيها مِن مخالفات ومزالق وعبث إلى الصورة المثالية المنشودة؟!

بذلك يبقى الخطاب الشرعيُّ والدورُ الدينيُّ منفصلاً عن الدور السياسي والذي يعني فيما يعني "فنَّ الممكن". ويقوم النقاش في كلِّ جماعة وحركة بين فصيلين: الأول يدعو للمحافظة على الجذور، والآخر يدعو إلى مدِّ الفروع وإخراج الثمرة.

الأول جناح شرعيٌّ لا يريدُ للخطاب ولا للمواقف ولا للحركة أن تخضع للواقع واللحظة الراهنة، لتبقى كما هي في صورتها المثالية نقية وصافية وثابتة؛ وبالتالي خارج المكتسبات السياسية. والثاني جناحٌ سياسيٌّ لا يريد الانفصام عن الواقع بأحلامٍ وأمانيَّ ليس لها رصيدٌ في الوعي أو الشعور أو السلوك العام عند الناس.

الأول يرى ضرورة أن يكون للأداء السياسي مرجعية شرعية تُأطِّر حركته ونشاطه وتضبط إيقاعاته وتعدل اعوجاجه؛ وهو هنا يحتكم للثابت مِن الأحكام والقديم مِن الفتاوى. والثاني يرى أهمية أن يشارك الآخرون في الميدان ليدركوا عن قرب مدى الضغوط والضرورات والحاجيات والتغيرات فتكون فتاواهم صحيحة ومداركهم متفهِّمة لما يقوله ويعمله – أي الفريق الثاني.

الأول يريد مِن الثاني أن يعمل في واقع افتراضي غائبٍ عن الحقيقة، بنفس الأدوات والأساليب بل والأفكار والنظريات والمصطلحات القديمة! والثاني يريد أن يتعايش مع العالم كما هو بكل تضاريسه وتموجاته، وبكلِّ تغيراته ومحدثاته، للوصول إلى موقع القيادة فيه والسيطرة عليه ومِن ثمَّ توجيهه!

أيُّهما هو الشرعي؟! يبقى السؤال. وأيُّهما هو المشروع؟! يجيب الآخر. وسيظل الجدل قائماً طالما وأنَّ هناك علماء وفقهاء منزوين، وحاجةً تُلِحُّ على غيرهم الاقتحام والإقدام للضرورة والمصلحة. فإذا ما أعاد العلماء لأنفسهم وظيفتهم التي رشحوا لها قياما بميراث النبوة في سياسة الناس فإنَّ الجدل سينتهي.

إنَّ الخلافة الراشدة في مفهومها الشرعي هي قيادة تجمع بين فقه الدين وفقه الواقع، بين الواجب والممكن، بين المصلحة والضرورة، وبين السياسة والشريعة.

إنَّ الخلافة الراشدة في مفهومها الشرعي هي قيادة تجمع بين فقه الدين وفقه الواقع، بين الواجب والممكن، بين المصلحة والضرورة، وبين السياسة والشريعة. فيكون الحاكم في منظور الأُمَّة هو المؤتمن على مصالحها ومنافعها الدينية والدنيوية بما أُوتيَ مِن عِلمٍ وفقهٍ وصلاحٍ وتقى، كما كان شأن أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومَن جاء بعدهما كعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عن الجميع.

وهنا يجب تبرئة هذا المثال بما قد يشوبه أحياناً مِن نماذج سيئة تشوهه وتفسدُ ملامحه. خاصة عندما يتصدَّر للسياسة مِن المنتسبين للعلم والفقه مَن لا تتوفر فيه حقيقة الديانة والأمانة، أو عُمقَ الوعي ونور الحكمة. ما يعطي للقوى المعادية للإسلام مبرراً للمناداة للفصل بين الدين والسياسة على خلفية نماذج لا تمثل بالضرورة الصورة الحيَّة والمشرفة للعالم الرباني المصلح وهو يمسك بزمام السياسة للأُمَّة المسلمة.

وإلى حين بروز هذا النموذج المكتمل والمثالي، يبقى التَّحرُّكُ بالتخصصات والقدرات الموجودة، والنُّصح لها، وتصحيح مسارها، وإصلاح اعوجاجها، في البلدان العربية والإسلامية المتطلعة للتغيير ضرورة تتطلبها المرحلة الحالية مِن عُمُرِ الأُمَّة. وهي تجربة تؤسس لخبرة جديدة في ظل تغير جديد أحدثته الثورات الشعبية عام ٢٠١١م.

إنَّ مِن المهم في ظلِّ جدل كهذا، استحضار المثال النموذجي والممكن الواقعي للقيام بمقاربة تجمع بين الطرفين، ومراعاة حيز العذر للآخر وحسن الظنِّ به وتأوُّل مواقفه وخطابه طالما أنَّ مَنشأَه ومُنطلقَه ومقصدَه والغالب على أحواله هو التَّمسُّك بالدِّين، ورعاية أحكامه وقواعده ومقاصده. مع أهمية أن لا تنقطع حبال الوصال بين الطرفين، تدارسُاً وتشاوُراً وتفقهاً لإزالة الضبابية وتجلية الحقائق والوقائع، والوصول إلى مشترك للفهم والعمل لا ينقضه السياسي ولا يقصر عنه الدعوي (الديني). مع ترسيخ أن هذا الفصام النكد هو نتيجة واقع لا أساس عقيدة وتصور ومنهج.

وبالله التوفيق.

تركستان الشرقية
الجرح الدامي للأمة الإسلامية

د. عبد الخالق عبد الوارث خوتن
الأمين العام السابق لرابطة علماء المسلمين،
الأمين العام لرابطة علماء تركستان،
عضو تأسيسي لاتحاد علماء تركستان الشرقية،
مدير المركز الإعلامي لتركستان الشرقية في إسطنبول

تركستان الشرقية: بلد إسلامي.

تعداد السكان: ٤٠ مليون مسلم.

المساحة: ١,٨٢٨,٤١٨ كيلو متر مربع.

اللغة: اللغة التركية باللهجة الأيغورية.

الموقع الجغرافي:

تقع تركستان الشرقية في القارة الآسيوية، فيحدها من الشمال الغربي ثلاث جمهوريات إسلامية هي: كازاخستان، وقيرغيزستان، وطاجيستان، ومن الجنوب: أفغانستان وباكستان، ومن الشرق أقاليم التبت الصينية.

ما قبل الاحتلال:

الدولة الكاشغرية:

قام يعقوب خان بتوحيد كل الإمارات المتمزقة في تركستان الشرقية وأسس الدولة الكاشغرية عام ١٨٦٧م، وبايع الخليفة العثماني السلطان عبد العزيز خان، وصك النقود باسم السلطان العثماني وخطب في الجمعات باسمه، وكافأ السلطان عبد العزيز خان هذه الإجراءات؛ فقام بإرسال المساعدات المالية والمصلحين والمدرسين والمتخصصين في المجال العسكري.

تركستان الشرقية الإسلامية:

لقد أُسست الدولة الإسلامية في تركستان الشرقية في ١٢ نوفمبر عام ١٩٣٣م بكل مؤسساتها، من مجلس وزراء، ودستور، ونقود، وجوازات سفر، وغيرها، باسم جمهورية تركستان الشرقية الإسلامية من طرف ثابت داموللا، والحاج خوجا نياز، ومحمد أمين بغرا، واعترفت بها دولة أفغانستان المجاورة.

جمهورية تركستان الشرقية:

في ١٢ نوفمبر عام ١٩٤٤م تم تأسيس جمهورية أخرى باسم جمهورية تركستان الشرقية بعد جهاد علي خان توره وأحمد جان قاسمي وعثمان باتور وغيرهم من أبطال تركستان الشرقية ضد الصين المحتلة، ولقد قام النظام الروسي بتهريب رئيس الجمهورية علي خان توره إلى روسيا، كما تم قتل أحمد جان قاسمي وغيره من الزعماء التركستانيين من قبل الاتحاد الصيني الروسي تحت مسمى حادث طائرة.

في عام ١٩٤٩م تولت مجموعة من الخونة بيع تركستان الشرقية للصين الشيوعية، وبهذا قُدِّمت جمهورية تركستان الشرقية التي أُسِّست بدماء الشهداء على طاولة الصلح والسلم المزعوم، وتغيَّر اسم تركستان الشرقية إلى سنجيانغ.

الاحتلال الصيني لجمهورية تركستان الشرقية في عام ١٩٤٩م:

كما أسلفنا سابقاً أسست جمهورية تركستان الشرقية الإسلامية عام ١٩٣٣م، واحتلت من قبل الصين الشيوعية عام ١٩٤٩م، وبعدها بسنوات حصلت على الحكم الذاتي عام ١٩٥٥م، وغُيِّر اسم البلاد وأصبح اسمها بعد التغيير: منطقة شنجيانغ الأيغورية ذات الحكم الذاتي. لكن الصين خالفت نصوص مواد الدستور الصيني التي تنص على حقوق السكان الأصليين في المناطق الذاتية الحكم وأصبح الحكم الذاتي اسماً لا مسمى له، ولكن في الآونة الأخيرة أُخليت الدوائر الرسمية من الأيغور وحلَّ مكانهم الصينيون الشيوعيون.

الوضع الحالي في تركستان الشرقية:

لقد عانى مسلمو تركستان الشرقية خلال ٧٠ عاماً ظلماً وذلاً وهواناً واضطهاداً لم تشهده البشرية في القرون المتأخرة، وتعتبر من أكثر مناطق الأرض انتهاكاً لحقوق الإنسان.

ولقد حوَّلت الصين بلاد تركستان إلى سجن مفتوح، وفصلته عن العالم الإسلامي

أجمع، فأصبحت تركستان الشرقية بالنسبة للعالم الإسلامي كسراب يظهر ويختفى، كما أصبح بلداً إسلامياً منسياً.

ومع مضي الأيام وتزايد قوة الصين في كل المجالات زاد الظلم الواقع على مسلمي تركستان الشرقية يوماً بعد يوم، وتسعى الصين جاهدة لإخفاء ما يحدث في تركستان الشرقية لتثبيت قواعدها في تركستان الشرقية وخداع العالم الإسلامي، فتستخدم نفوذها السياسية لتحقيق هذا الهدف.

وتستمر الصين في اضطهادها لمسلمي تركستان الشرقية بكل وقاحة وجرأة، في ظل صمت عالمي رهيب، جراء العلاقات الصينية التركية وعلاقات الصين مع العالم الإسلامي، وتُسْكِت الأنظمة في العالم الإسلامي على ذلك الظلم خوفاً على منافعها مع الصين، ويجبر المسلمين على الذوبان في المجتمع الصيني والتخلي عن هويتهم الإسلامية في ظل هذه العلاقات التي تقوم على المنافع المتبادلة بين الصين والعالم الإسلامي.

الاضطهاد الاجتماعي:

انقسمت المدن الكبرى في تركستان الشرقية إلى مناطق يعيش فيها المسلمين، ومناطق يعيش فيها الصينيين جراء التناحرات بين أبناء تركستان من جهة، وبين الصينيين الغاصبين من جهة أخرى، والمسلمون الذين يعيشون في مناطقهم يعانون من القمع البوليسي الواقع عليهم، حيث يجبرون على الحصول على إذن مسبق للتنقل بين الأحياء التي يعيشون فيها، وفي إطار هذا الانقسام يصعب عليهم الإقامة في الفنادق، والبحث عن العمل، والسفر خارج البلاد، حيث يتعرف البوليس على هوية المسلمين بمجرد البحث عن رقم الهوية فَيُصَعِّب عليهم حياتهم ويحولها إلى مشقة بالغة.

الاضطهاد السياسي:

في الآونة الأخيرة تقوم حكومة الصين الشيوعية بتصفية التركستانيين الذين يعملون في الدوائر الحكومية في مناصب إدارية وسياسية مهمة بتهم واهية، فتتهم الصين التركستانيين بعدم الولاء لحكومة الصين بسبب معتقدهم واعترافهم بهويتهم القومية.

والساسة التركستانيون الذين نجوا من هذه التهم الباطلة يتم نقلهم إلى مناطق داخل الصين وتقطع علاقاتهم مع أبناء جلدتهم وينفون من أراضيهم ووطنهم. وفي كل الأحوال يتم إبعاد التركستانيين من المراكز السياسية.

إضافة إلى ذلك يتم اعتقال المثقفين الذين لهم تأثير فعال في المجتمع، والأكاديميين الذين تخرجوا من الجامعات الكبرى في العالم، ولا تستطيع أسرهم التعرف على أخبارهم.

وكما أعلنت الأمم المتحدة أن أكثر من مليون مسلم تركستاني محبوس حالياً في المعسكرات النازية دون اتهامهم بأدنى تهمة.

مع هذا فإن الصين بدأت تمارس على المسلمين الأويغور في تركستان الشرقية – بدعوى مكافحة الإرهاب المزعوم – كل

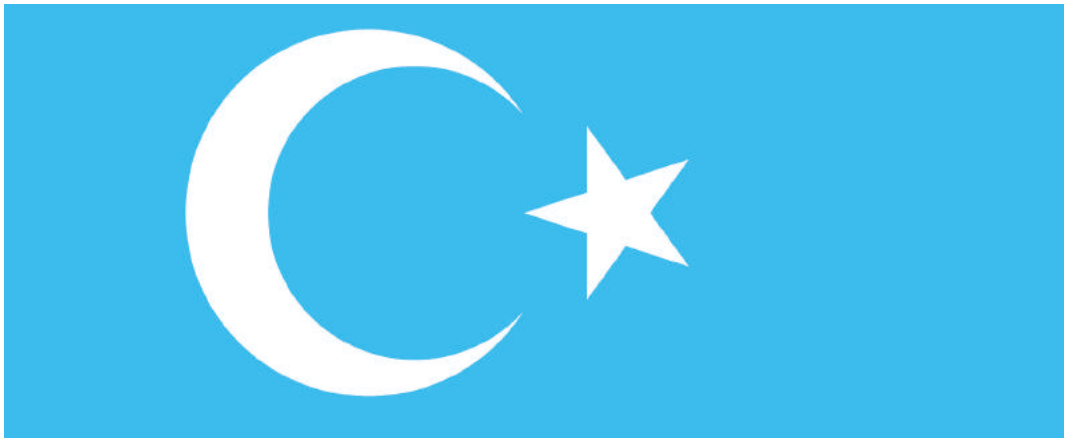

أنواع القمع، من قتل واعتقالات تعسفية ومحاكمات جائرة، دون أي رادع من المجتمع الدولي - إن كان هناك مجتمع دولي -. القصص المرعبة التي تأتي من تركستان الشرقية وتمارسها السلطات بحق المسلمين المسالمين لا يستوعبها عقل الإنسان، ولا يصدقها أحد دون أن يعيش بنفسه هناك منها.

الشيخ عبد الكريم عبد الولي:

الشيخ عبد الكريم عالم وأكاديمي تركستاني محبوب إلى قلوب التركستانيين كافة، وهو عالم جاهد في أوائل التسعينات في سبيل توعية الشباب التركستاني، وتربيتهم إيمانياً وجهادياً وتثقيفهم علمياً، وحقق نجاحاً باهراً في هذا المجال. في ١٦ نوفمبر ١٩٩٠م اتهمته السلطات الصينية بمحاولة الانفصال عن الصين، وحكمت عليه بالسجن لمدة ١٢ عاماً، ومع أن مدة الحكم انتهت إلا أن السلطات الصينية لم تطلق سراحه، ولقد حاول التركستانيون في المهجر الدفاع عن حقوقه القانونية، ولقد ذُكر اسمه في التقارير التي أعدت من طرف مجلس حقوق الإنسان، ولجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، وجاء خبر قبل شهور أنه استشهد في السجون.

إلهام توختي:

الأكاديمي التركستاني في جامعة بكين والمدافع عن حقوق مسلمي تركستان الشرقية المكفولة لهم بحكم الدستور الصيني، حكم عليه بالسجن مدى الحياة، لقيامه بالمطالبة بحقوق التركستانيين القانونية، وقد حصل على جائزة مارتين إينالز العالمية.

ولقد عبر السيد مصطفى يناراوغلو رئيس لجنة حقوق الإنسان في مجلس النواب التركي بعد حصول إلهام توختي على جائزة الدفاع عن حقوق الإنسان في سويسرا عن أهمية هذه الجائزة بقوله: "حصول إلهام توختي الملقب بنلسون مانديللا الصين على هذه الجائزة التي تهدف إلى حمايته وفق القانون الدولي له مغزى ومعنى كبير جداً".

عبد الرحيم عيد:

لقد ألقت السلطات الصينية على النجم التركستاني في الغناء السيد عبد الرحيم

عيد من غير أي مبرر قانوني، ولا يعرف الذنب الذي اقترفه أو الجناية التي أُتهم بها، أو المدة التي حكم عليه بها، ويذكر أن من أسباب اعتقال السيد عبد الرحيم هو أغنيته المشهورة المسماة: الآباء.

ومن المعلوم أن السيد عبد الرحيم من أشهر العازفين على الآلة الموسيقية الأيغورية التي تسمى بدوتار، وهو مغنٍ وشاعر متعلق بدينه وقيمه وله معجبون كثر في تركيا، واعتقال عبد الرحيم عيد يعني أن كل طوائف التركستانيين تحت وطأة الاحتلال الشيوعي الغاشم، فالعلماء والأكاديميون ورجال الأعمال وأصحاب المهن بما فيهم أصحاب الفن كلهم يقبعون في سجون الصين.

حقوق الإنسان:

تعتبر تركستان الشرقية من أكثر مناطق الأرض المنتهكة فيها حقوق الإنسان، وتتزايد اضطهادات الصين لمسلمي تركستان الشرقية يوماً بعد يوم في ظل صمت عالمي رهيب، وسكوت العالم على هذا الظلم، ومن هذه الانتهاكات حق الحياة، وحق الاجتماع، والتظاهر، وحق حرية التعبير، والتهجير القسري للعمال، والانتهاكات في مجال الحياة الثقافية والحضارية، وتجارة أعضاء المسجونين، والإجهاض القسري والتعقيم الإجباري التي تعتبر من أهم مشاكل حقوق الإنسان التي تنتظر حلاً عاجلاً.

يعتبر العاشر من ديسمبر لسنة ١٩٤٨م اليوم العالمي لحقوق الإنسان، وهو اليوم الذي أعلن فيه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وهو يوم يحتفل به في كل أنحاء العالم، لكن الصين تبيد الإنسانية في تركستان الشرقية المحتلة أمام مرأى من العالم أجمع، وها نحن نتحدث عن انتهاكات حقوق الإنسان في مرحلة تباد فيها الإنسانية بكل حقوقها، وتنتهك حقوق الإنسان في تركستان الشرقية كما تنتهك في مناطق متعددة في أنحاء العالم، لكن ما يحدث في تركستان الشرقية من انتهاكات مما يبدو لنا ليس له مثيل في العالم أجمع.

يمكننا أن نتحدث عن انتهاكات حقوق الإنسان في تركستان الشرقية في يومنا الحاضر تحت هذه العناوين:

- حظر العبادة والشعائر.
- حظر تعلم الدين وتعليمه.
- حظر الدخول إلى المساجد قبل الحصول على بطاقات دخول المساجد.
- القمع الديني في رمضان في مجالات شتى وحظر الصيام وغيرها من العبادات والشعائر.
- حظر الصيام في رمضان للعاملين في القطاع العام والمتقاعدين والطلاب ومَن سِنُّه تحت ١٨ سنة.
- حظر بناء مساجد جديدة ويتم هدم الموجود.
- حظر أداء الحج والعمرة.
- حظر التفكير وحرية التعبير.
- حظر اللغة الأيغورية بدعوى التعليم بلغتين.
- حظر التجوال بين المحافظات والمدن والقرى بدون إذن مسبق من السلطات الصينية.
- حظر السياحة والسفر واسترداد جوازات السفر وعدم إعطائها أو تجديد مدتها.
- حظر لبس الملابس التي تشير إلى الدين والتدين من حجاب وعمامة وغير ذلك.
- الاعتداء على مال الشعب.
- حظر العادات الخاصة بحضارة تركستان الشرقية الإسلامية.
- حظر استخدام الإنترنت والمواقع الاجتماعية بحرية.
- التذويب العرقي والتغيير الديموغرافي.
- حظر الممارسات الدينية في كل مجال الحياة.
- حظر تعليم الأبوين لأبنائهم أمور دينهم.
- الاعتقالات الجماعية بدون مسوغ.

الوضع الاقتصادي:

المستثمرون في تركستان الشرقية في القطاعين العام والخاص كلهم من الصينيين، وأما محاولات المستثمرين الأيغور فتبوء بالفشل جراء التمييز العنصري الصيني وانعدام الإمكانيات، وتصادر الصين أموال التجار والحرفيين في تركستان الشرقية بتهم واهية، كما تقوم بحبس التجار ورجال الأعمال، وهناك إحصائيات أجريت في الصين عام ٢٠١٦م مفادها أن ١٢ من رجال الأعمال من بين ٥٠٠ يعيشون في تركستان الشرقية وكلهم من الصينيين، وهذا يعني أن مسلمي تركستان الشرقية يبعدون من مراكز العمل في تركستان الشرقية.

هجمات على التجارة الدولية والتحويل الدولي للأموال:

ولقد تزايدت هجمات الصين الشرسة على رجال الأعمال الذين يودون الاستثمار في تركيا والإقامة بها بنفس الطريقة المذكورة، فيحاولون بكل قواهم رد أولئك المستثمرين إلى البلاد والقيام بحبسهم، وتضغط حكومة الصين على أسر رجال الأعمال بالحبس والرهن لقطع علاقاتهم الأسرية والتجارية مع أبناء جلدتهم، وقد قطعت هذه العلاقات بالفعل جراء هذه

الضغوط، كما حظرت نقل الأموال عبر البنوك وغيرها وصادرت أموال رجال الأعمال وجمدت حساباتهم في البنوك، وبهذا فقد قصم العمود الفقري لاقتصاد تركستان وخاصة أولئك المهجرين ويعيش التركستانيون في حالة فقر يرثى لها جراء هذه الإجراءات الغاشمة، لذا نرى أنه من اللازم السعي لإيجاد حلول لهذه المشكلة العويصة.

سياسة التذويب العرقي:

تهجير الفتيات التركستانيات إلى الصين:

من أخطر ما تفعله القوات الشيوعية الصينية من إجراءات سياسة تهجير الفتيات التركستانيات جبراً إلى داخل حدود الصين الأصلية، وعامة من يعاني من هذا التهجير القسري هن الفتيات اللواتي في سن الزواج والعمل، فتقوم الصين بتهجير فتياتنا إلى مناطق العمل الشاق غرب الصين وجنوبه.

سياسة ترغيب زواج المسلمين التركستانيين من الصينيين الشيوعيين الكفرة.

سياسة المؤاخاة القسرية بين مسلمي تركستان الشرقية والصينيين الكافرين الغاصبين.

سياسة الاستيطان الصيني في تركستان الشرقية وبناء مستوطنات للصينيين.

لقد بدأت الصين في الهدم والتخريب المنهج في المناطق التي يعيش فيها التركستانيون بكثافة باسم مشروع التنمية السريعة لتركستان الشرقية، فقامت بإخلاء هذه المناطق من سكانها الأصليين وتهجيرهم إلى أقاصي البلاد وأتت بمستوطنين صينيين جدد لإسكانهم في المباني الجديدة التي ينوون بناءها مكان المهدم المخرب.

انتهاكات حقوق الديانة والتدين:

الاضطهاد والقمع الديني:

تربط الصين خلفية ما يحدث في تركستان الشرقية من أعمال عنف بالقومية التركية والإسلام المتشدد، لهذا تحاول بكل جهودها إضعاف الهوية الإسلامية في تركستان الشرقية وتقوم ببعض الإجراءات التي تحظر التدين، فعلى سبيل المثال: تحاول الصين تصيين الإسلام وتخليته من العرب والعروبة وكل ما يتعلق بالعرب وتجهد للوصول إلى إسلام خاص بالصين، وتجبر مسلمي تركستان الشرقية في الاختيار بين دين الله أو دين بكين، فمن اختار دين الله عوقب ومن اختار دين بكين فقد اختار السعادة في نظر الصين.

لقد قامت الصين بحظر شعار [الحلال] وما شابهها في الأطعمة والمواد الغذائية.

لقد تم حظر شعار [الحلال] وما شابهها من الشعارات التي تفيد بجواز أكل المواد الغذائية في تركستان الشرقية، ولقد سمحت باستخدام كلمة صينية تعني [يمكن استهلاكها] في اللبنيات واللحوم والشحوم والزيوت وغيرها من المواد الغذائية الأساسية، ولكنها منعت استخدام مصطلحات إسلامية بأحرف عربية أو لاتينية، أو استخدام رسوم إسلامية.

حظر الأسماء الإسلامية:

لقد أعلنت الصين عن حظر أسماء إسلامية، ويوجد في قائمة تلك الأسامي المحظورة اسم: محمد ومجاهد ومدينة، وغيرها من الأسماء الإسلامية المنتشرة في تركستان الشرقية.

هدم المساجد:

لقد هَدَّمت قوات الصين الشيوعية ٣ آلاف و٥٠٠ مسجداً من بين ٢٨ ألف مسجد خلال عامي ٢٠١٦م و٢٠١٧م بدعوى الأمن، وتستمر الصين في هدم المساجد بدعاوى أخرى منها أن المساجد أصبحت خرابة من القدم وعملية هدم المساجد تستهدف التغيير الديموغرافي في تركستان الشرقية.

عام ٢٠١٧م صدرت قوانين الحظر الجديدة فيما يخص شعائر الإسلام:

في بداية العام ٢٠١٧م صدر قرار بمنع الملتحين والمحجبات والمنقبات من النزول للطرقات والذهاب إلى المستشفيات والقطاع العام، وركوب الباصات والتاكسي ووسائل المواصلات الأخرى، كما صدر قرار بحظر التجمع لتلاوة القرآن وتعلم العلوم الدينية، وتم كذلك حظر اقتناء الكتب الإسلامية بما فيها القرآن الكريم والصوتيات والمرئيات الدعوية الإسلامية، واعتبرت كل هذه الأعمال جريمة كبيرة يعاقب عليها القانون، والذين يخالفون القرار المذكور ويفتحون مدارس سرية لتحفيظ القرآن الكريم ويعاونون الأطفال الذين يتعلمون دينهم ويقتنون كتباً دينية؛ يعتبرون إرهابيين ويحاكمون كإرهابيين وتصادر أموالهم وتهدم بيوتهم.

ولقد أعلنت الصين في أبريل من عام ٢٠١٧م قراراً جديداً نفذ من يوم إعلانه ويسمى محاربة التطرف، قد احتوى على قائمة أعلنت الصين أنها من التطرف المراد محاربته وهذا بعض مما في تلك القائمة:

(١) الدعوة إلى الإسلام.

(٢) الاستمرار في ممارسة الشعائر الدينية والدعوة إليها والمساعدة الاقتصادية لرجال الدين.

(٣) الرجوع إلى الدين في أمور النكاح والميراث والجنازة وغيرها.

(٤) التهرب من إقامة علاقات جيدة مع غير المسلمين والتعايش في أواسطهم.

(٥) تحذير المسلمين من أماكن اللهو واللعب، وعدم مشاهدة واستماع ما يذاع في التلفاز والراديو.

(٦) نقل اصطلاح الحلال إلى غير المأكولات والمشروبات والتدخل في حياة الناس المدنية والوقوف أمام التحضر.

(٧) لبس الملابس بغرض الحجاب، والتزيين بما يشير إلى الدين من زينة والترغيب إليها.

(٨) إعفاء اللحى وتسمية الأطفال بأسماء إسلامية.

(٩) الرجوع إلى الشرع في أمور النكاح والطلاق.

(١٠) تهريب الأطفال من المدارس الحكومية التي تعلم الإلحاد وتعليمهم الدين سراً.

(١١) التهرب من أخذ البطاقة الشخصية وغيرها مما يعتبر أوراقاً رسمية صينية.

(١٢) تشهير المال العام ومال الغير بلفظة حرام والتعرض بالضرر للناس جراء ذلك.

(١٣) القيام بنشر مواد دينية من مقالة أو كتاب أو صوتيات ومرئيات وغير ذلك، والحفاظ عليها، وتوزيعها، وبيعها، وشراؤها، وقراءتها أو مشاهدتها.

(١٤) مخالفة سياسة الحكومة الصينية في قانون تحديد النسل والإجهاض القسري وإيجاد عوائق أمام تنفيذه.

(١٥) استخدام ألفاظ تدعو إلى التطرف والإرهاب.

القمع والاضطهاد في رمضان:

صوم رمضان ممنوع على المسلمين في تركستان الشرقية فمع بداية شهر رمضان المبارك مثل السنوات السابقة أصدرت السلطات الصينية في تركستان الشرقية قرارات جديدة للحد من أداء شعائر الصيام وصلوات التراويح، فحظرت الصوم والصلاة على موظفي الدولة والطلاب والمدرسين والمتقاعدين، ونشرت في المساجد التي تسمح بصلاة التراويح قرارات بألا يتجاوز وقت الصلاة أكثر من نصف ساعة، وفي الآونة الأخيرة تحاول تنفيذ هذا الحظر على كل طبقات المجتمع.

القيام بقسر الصائمين للإفطار في نهار رمضان:

تقوم قوات الصين الشيوعية بجمع الناس من الطرقات والفلاحين من الحقول لإجبارهم على شرب الماء في نهار رمضان، كما يقام مسابقات شرب الخمر في نهار رمضان انتهاكاً لحرمة شهر رمضان، فيجبر المسلمون في هذه المسابقات على شرب الخمر في نهار رمضان، كما تقوم سلطات الصين بإجبار أئمة المساجد والنساء على الرقص في الميادين العامة تنكيلاً بهم.

الإجبار على بيع الخمور والتدخين:

لقد نشرت الصين قراراً آخر يفيد بإجبار التجار الذين يتاجرون في الأطعمة والأشربة على بيع خمسة أنواع من الخمور على الأقل، وخمسة أنواع من التدخين، وأن يضعوا هذه البضاعة في مكان مكشوف بارز يراه المشترون، ومن لم ينفذ هذا القانون يدفع غرامة مالية باهظة على أقل تقدير، أو يغلق دكانه ويشمع بالشمع الأحمر فلا يستطيع أن يتَّجر، أو يحبس ويسجن.

التمييز العرقي بين مسلمي تركستان الشرقية ومسلمي الصين:

لقد تم حظر صلاة التراويح على مسلمي تركستان الشرقية باستثناء المساجد الكبير المشهورة في المدن الكبرى، ولكن مسلمي الصين المُسمَّيْن بالخوي لا يحتويهم هذا الحظر، وهناك تمييز عنصري بارز بين مسلمي تركستان الشرقية ومسلمي الخوي في حقوقهم السياسية والاجتماعية وحقوق المواطنة، فمسلمو الخوي الذين يعيشون داخل حدود الصين الأصلية يتمتعون بحرية لا يمكن لمسلمي تركستان الشرقية التمتع بها، وهذا يعني أن الصين تميز بين مواطنيها تمييزاً عنصرياً.

الإجبار على فتح المطاعم في رمضان:

يغلق مسلمو الأيغور مطاعمهم في تركستان الشرقية في رمضان عادة، مراعاة لحرمة شهر رمضان، لكن السلطات الصينية تجبر المسلمين على فتح مطاعمهم وبيع الخمور فيها ومن لم ينفذ يعاقب بالحبس أو الغرامة.

ومع هذا لا ننسى أن مسلمي تركستان الشرقية محبون لإسلامهم؛ ففي رمضان يتبادلون الزيارات ودعوات الإفطار، ويقيمون صلاة التراويح بجزأين أو أربعة، ويجتمع الأقارب والجيران في البيوت ويقرأون أجزاء من القرآن يومياً، وهو ما بات يتم سراً في أحيان كثيرة مع اتساع قبضة الاضطهاد الصيني بحقهم.

انتهاكات أخرى:

تجبر السلطات الصينية رجال الدين والعلماء وأئمة المساجد والنساء في تركستان الشرقية بالرقص على نغمات الموسيقى الصينية باسم مشروع تخفيف التدين ويستمر هذا الإجبار حتى يومنا هذا، وهذا إجراء غاشم تدنس كرامة مسلمي تركستان الشرقية، بالإضافة إلى مراقبة بيوت الموظفين وقت السحور للتأكد من عدم قيامهم للسحور، وذلك بمراقبة بيوتهم والتأكد من عدم إضاءة النور في بيوتهم، ومراقبة الفلاحين للتأكد من إفطارهم في الحقول وسط النهار، وتغيير وقت الغداء والعشاء في الفنادق لمنع المسلمين من تناول السحور والإفطار، وإجبار المسلمين للتنصت على جيرانهم ومراقبتهم للحد من الصيام والعبادات.

سياسة الإجهاض القسري وحملة قمع تحت شعار (تحديد النسل):

ومن أهم ما تنفذه الصين في تركستان الشرقية من مظالم سياسة الإجهاض القسري، التي تهدف إلى تقليل الكثافة السكانية لمسلمي الأيغور في تركستان الشرقية، والتي تعد إبادة جماعية وقتلاً للأبرياء والأطفال، وينص القانون الصيني على سياسة تحديد النسل، والتي تسمح للصينيين بطفل واحد وللأقليات بطفلين، وتنفذ السلطات هذا القانون بكل شدة فتجهض من ثبت أنه الطفل الثالث بالقسر حتى ولو قرب ميعاد ولادته. وتؤدي سياسة تحديد النسل إلى إجهاض البنات بعد التأكد من جنسيتهم بطلب من الأسرة؛ لأن الأبناء هم دوام النسل فتسبب هذه السياسة إلى فقد التوازن الاجتماعي بين الرجال والنساء، ويؤدي إلى كثرة الرجال وقلة النساء وهذا مما يفسد المجتمع ويفككه.

وقد واجه مسلمو تركستان الشرقية مشكلة أن الأطفال الذين ولدوا بعد الطفل الأول لا يسجلون في الدوائر الرسمية فلا يعطى لهم بطاقة هوية، ولا يمكن لهم أن يتمتعوا بحقوقهم في التعليم والصحة والعمل والسياحة والتنقل وغيرها من الحقوق الإنسانية المكفولة في جميع القوانين الموجودة.

الانتهاكات في مجال التعليم والثقافة:

لقد أبطلت الصين ما ينص عليه الدستور الصيني وقانون الأقليات والمناطق الذاتية الحكم من أن سكان هذه المناطق لهم الحق في التعلم بلغتها الأم، وفرضت التعلم والتعليم باللغة الصينية، ويجبر الأطفال التركستانيون على التعلم باللغة الصينية من مرحلة الحضانة إلى مرحلة

الجامعة بمشروع التعليم باللغتين الصينية والتركستانية، وتحاول الصين بكل جهودها إجبار المسلمين التركستانيين على لبس الألبسة الصينية، وعلى اختيار النموذج الصيني في الحياة والبعد عن الحياة الإسلامية، كما يجبر طلاب الجامعات على تعلم الشيوعية الماركسية الإلحادية.

ولقد قامت الصين في الأيام الأخيرة بتهديد الطلاب الذين يدرسون خارج تركستان الشرقية عبر الهاتف وطلبت منهم العودة للبلاد، وقد اشتمل هذا التهديد الطلاب الذين يتعلمون العلوم الإسلامية في تركيا ومصر وغيرها من بلاد العالم الإسلامي، ولقد رجع بعض الطلاب نتيجة هذه التهديدات إلى بلادهم، ولكنهم أدخلوا السجن من غير ذنب اقترفوه، وهذا حال معظم من سافر من تركستان ثم عاد، تم حبسه من غير أي سبب مشروع قانوني، وتحاول الصين بإجراءاتها الغاشمة هذه أن تمنع مسلمي تركستان من السفر خارج البلاد والتعلم فيها. والذين استطاعوا أن يخرجوا من البلاد في السنوات الماضية لم يستطيعوا أن يتواصلوا مع أهليهم وذويهم؛ فلا يعرفون أأحياء هم أم أموات، أم في الحبس أم في المعسكرات النازية!

انتهاكات تخص حرية التنقل والسياحة والسفر:

- السفر إلى خارج حدود الصين.
- التنقل داخل حدود الصين.
- التنقل داخل تركستان الشرقية بين المحافظات والمدن.
- التنقل بين الأحياء والقرى.

توجد عوائق كثيرة أمام المسلمين في تركستان الشرقية في مجال التنقل والسفر، ويضطر المسلمون أحياناً لأخذ تصاريح سفر للتنقل بين القرى داخل المدينة الواحدة، وحصول المواطن العاقل البالغ على جواز السفر أمر شبه مستحيل في تلك البلاد، ولقد صدر مؤخراً قرار جديد لانتهاك حرية السفر والتنقل، فقد تمت مصادرة جوازات السفر التي صدرت من قبل السلطات الشيوعية

مسبقاً، ولقد صعب الحصول على جواز السفر، فالذي يرجو الحصول على جواز سفر، عليه أن يدفع مبالغ باهظة كرشوة للشرطة الصينية، وفي المقابل يستطيع الصيني الحصول على جواز السفر بعد طلبه بخمسة عشر يوماً.

وفي ظل هذه الظروف يحاول الآلاف من التركستانيين الهروب من سلطات الصين والمجيء إلى تركيا بالطرق غير المشروعة عابراً آلاف الكيلومترات للهروب من ظلم وبطش الصين الشيوعية؛ فوصل البعض إلى تركيا، والبعض الآخر مات في طريق هروبه، أو ألقي القبض عليه وتم رده إلى الصين كي يسجن أو يعدم.

عوائق أمام النضال ضد الصين الشيوعية:

- محاولة الصين دمج التركستانيين كأمة واحدة في قائمة الإرهاب المتطرف الجاهل.
- محاولة عرقلة النضال الدائم في المهجر بشتى الطرق.
- محاولة الصين تحويل القضية التركستانية إلى قضية غير قانونية بشتى الوسائل.
- محاولة الصين اتهام التركستانيين بالإرهاب مستفيدة من الوقائع التي تحدث في أماكن تواجد التركستانيين في المهجر، ومحاولة ربط التفجيرات وغيرها من أعمال الإرهاب والتطرف بالتركستانيين.
- الاستفادة من العلاقات الدبلوماسية مع الدول الإسلامية مثل تركيا وغيرها لعرقلة النضال ضد الصين الشيوعية.
- الاستفادة من كافة الوسائل الموجودة لتغيير نظرة الرأي العام التركي خصوصاً تجاه قضية تركستان الشرقية، ومحاولة القضاء على القضية بالتأثير على من يدعم مسلمي تركستان الشرقية.
- عدم اهتمام الإعلام بقضية تركستان الشرقية اهتماماً يليق بالقضية.
- المؤسسات الاجتماعية الإسلامية ليس لها نظرة شمولية في قضية تركستان الشرقية، حيث تنظر إلى القضية في إطار سياسي ضيق، وهذه النظرة تنتج نتائج وهمية مثل عدم استنكار ما يحدث في تركستان الشرقية من مجازر بشرية وغيرها من المآسي.
- تحاول الصين أن تكسب حلفاً صادقاً في أواسط الشعب التركي، بأن تستضيف أعضاء البرلمان ومسؤولي المؤسسات الاجتماعية في رحلات إلى الصين، وتقدم لهم دعماً اقتصادياً؛ فتكسب ودهم.
- وأخيراً.. فتركستان الشرقية تحت الإبادة دون حسيب أو رقيب، لو كانوا أقلية غير مسلمة لهب العالم الفاجر نصرة لها.

مسلمو تركستان ليسوا أقلية، بل أمة تذبح وتباد بصمت، وعلى مرأى ومسمع أكثر من مليار ونصف مليار مسلم.

العالم الإسلامي - للأسف - في مثل هذه القضايا غير موجود، فعلى مستوى الحكومات هناك تجاهل تام تجاه ما يحصل للمسلمين في الصين..

سياسات النشر في المجلة:

تُقبل المقالات في المجلة بعد العرض على هيئة التحرير إذا استوفت الشروط التالية:

(١) ألا يكون البحث أو المقال قد سبق نشره، أو قُدّم لأية جهة أخرى من أجل النشر.

(٢) أن تكون البحوث والمقالات متسمة بالعمق والأصالة وحسن الأسلوب ووضوحه، والسلامة من الأخطاء اللغوية والنحوية، وأن يضيف نشرها جديداً إلى المعرفة.

(٣) أن تكون البحوث والمقالات موثقة من الناحية العلمية بالمراجع والمصادر والوثائق، وتوضع الهوامش في أسفل كل صفحة.

(٤) لا تدفع المجلة مكافآت ولا تتقاضى أية مبالغ مقابل البحوث أو المقالات المنشورة أو أي أعمال فكرية ما لم تكن بتكليف.

(٥) أن لا يتجاوز البحث أو المقال سبع صفحات (١٠٠٠) كلمة، ولا يقل عن ثلاث صفحات (٤٥٠) كلمة (بمقاس ورقة A4).

bayyinatre@gmail.com